

الحُبُّ والجَمالُ عند العرب

صفات الحب وأغراضه وأنواعه ومختارات وطرائف مما قيل في العشق والجمال
والنزل ووصف النساء ومقاطيع رائقة ونوادر فائقة للشعراء العشاق
من كل لفظ شائق بديع ومعان كأنها زهر الربيع

بقلم
المَلّامة المحقق المنفور له
أحمد نيمور باب

دار الكاتِب العَرَبِي

1982

تمهيد لمقدمة الكتاب^(١) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى حكم بعلمه فقهر ، ودبر بلفظه فيسر ، وألف بين مَنْ شاء مِنْ أحابيه وجعلهم أحياء ، وجعل لمجالس الأنس من الفضلاء والندماء ألبابا ، فهم يتذكرون النوادر والأخبار ، وينتتمون فى تلك الأوقات منادمة الأصحاب وتناشد الأشعار . أحمده على كلِّ نعمة ، وأشكره إذ جعلنا من خير هذه الأمة ، وأستغفره من كلِّ ذنب يوجب النعمة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تجيرنى من الخطايا والزلل ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبرأ من النقص والخلل ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه التابعين وتابع التابعين . وبعد : فهذا مجموع يشتمل على فصول تحوى مقاطيع رائعة ، وقصائد فائقة ، من كلِّ لفظ بديع ومعان كأنها زهر الربيع ..

(١) عثرت اللجنة بين مخلفات المؤلف على الجزء الأول من مقدمة لهذا الكتاب ، ولم نجد أثراً لبقية أجزاء المقدمة . ولعله رحمه الله ترك استكمالها حتى يتم جميع مواد الكتاب . ولما لم يحل الأجل تحقيق ما توخاه ، آثرنا إثبات هذا الجزء من المقدمة كما وجدناه ..

دعاء مأثور

من أفضل ما سئل الله - عزّ وجلّ - حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ عمل يقرب إلى حبّه .
ومن أجمع ذلك أن يقول المرء في دعائه :

اللهم إني أسألك حبّك ، وحبّ من يحبّك ، وحبّ عمل يقربني إلى حبّك .
اللهم ما رزقتني مما أحبّ ، فأجعله قوّة لي فيما تحبّ . وما زويت عني مما أحبّ ،
فأجعله فراغاً لي فيما تحبّ .

اللهم اجعل حبّك أحبّ إليّ من أهلي ومالي ، ومن الماء البارد على الظمأ .
اللهم حبّيني إليك وإلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبادك الصالحين .
اللهم أخى قلبي بحبّك ، واجعلني لك كما تحبّ .
اللهم اجعلني أحبّك بقلبي كلّه ، وأرضيك بمجهدي كلّه .
اللهم اجعل حبّي كلّه لك ، وسعبي كلّه في مرضاتك .

بقلم الأديب الشاعر
الأستاذ عبد السلام شهاب
عضو اللجنة التيمورية والمحرم بالأهرام

لم يكن عجباً ، أن يعنى بأمر الحبّ والجمال ، عالم أديب ، حجة في اللغة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون ، واشتهر إلى ذلك بالتزام الوقار والمحافظة على التقاليد الدينية والاجتماعية ، هو المفطور له العلامة « أحمد تيمور باشا » صاحب هذا الكتاب .

فن قبل ذلك بمئات السنين ، عنى بأمر الحبّ والمحبين ، كثير من أكابر العلماء والأدباء ، وذوى المكانة الرفيعة والكلمة الموقرة المطاعة ، في شئون الدين وشئون الدنيا على السواء .

وسيطالع قراء الكتاب ، فيما تضمنه من آراء وأحاديث ونوادر وأشعار وغيرها ، أسماء عشرات من هؤلاء وهؤلاء ، وفي مقدمتهم : أنبياء وخلفاء وسلاطين ، وفلاسفة وفقهاء ومتصوفون ، بل سيجدون كذلك أن موضوع الحبّ والمحبين قد اختصّ بكتاب كامل من أهمّ كتب التراث العلمى والأدبى العربى ، هو كتاب « طوق الحمامة في الألفة والألاف » الذى قام بتأليفه منذ أكثر من تسعمائة سنة أحد أئمة المسلمين المشهود لهم بالورع والتقوى والافتداء ، هو الوزير الفقيه الفيلسوف أبو محمد على بن أحمد بن سميد بن حزم الأندلسى ، وقد فصل فيه عناصر الحبّ وصفاته وآفاته ، وساق أمثلة من تجاربه الخاصة فيه ، وملاحظاته على المحبين من أهل عصره ومخاطبيه ، وأكد بالأدلة القاطعة المقبولة ، أن « الحبّ ليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة » .

وتعرضت كتب أخرى كثيرة ، لهذا الموضوع الشائق ، منها كتاب « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » ، للعلامة الشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، المتوفى سنة ٧٥١ هـ .

والستقرى لتواريخ الأمم والشعوب ، قديمها وحديثها ، وكبيرها وصغيرها ، لابد واجد أنها كلها - دون استثناء - تشترك في معرفة الحب ومعاناته ، وفي تقدير أهميته في حياة الفرد والمجتمع . ثم هو إلى جانب ذلك لن يفوته أن يلحظ أن « الحب والجمال عند العرب » لهما مقام أسنى ومنزلة أعظم . فإذا هو التمس أسباب هذا ودواعيه ، فما أيسر أن يتبينها فيما توافر للعرب في بيئتهم الخاصة ، من فطرة سليمة وإحساس مرهف ، ومن تذوق دقيق واعر لا يحيط بهم من روائع الجمال وبدائعه ، متمثلة في مناظر صحرائهم ، بما اشتملت عليه أرضها من رمال وتلال وجبال مختلفة الألوان ، وبما اشتملت عليه سماؤها من غيوم ونجوم ، تسحر الميول والألباب .

فإذا أضيف إلى ذلك ما امتاز العرب به من كثرة الترحال والانتقال انتجاعاً للرّزق ، ومن فصاحة اللسان والجنان ، والقدرة على التعبير عن عواطفهم ومشاعرهم بصدق وإخلاص ، فهذان برهانون آخران على أنهم خلّقوا ليكونوا أحقّ بالحب وأهله ، وأقدر على حمل تبعاته وأصدق تصويراً له وتعبيراً عنه .

وقد تغنى بجمال الحبّ وحبّ الجمال فطاحل الشعراء العرب ، منذ عصر الجاهلية . ولم تخل من الحديث عن ذلك أو الاستهلال به أكثر القصائد الكبرى التي قدّسها العرب الجاهليون وعلّقوها على الكعبة تشريفاً لأصحابها ، وتقديراً لبلاغتها فيما أكّد كثير من الرواة .

وفي أشهر هذه « المعلقات » يقول امرؤ القيس بن حجر الكندي :

أفأطيمُ : مهلاً ، بعضَ هذا التَّدلُّلِ وإن كنت قد أزممت صرعى فأجملِي
أغرّك مِنّي أن حبّك قاتِلِي وأنك مهماً تأمرى القلبَ بفعل ؟

ويفتح الحارث بن حلزة اليشكري معلقته بقوله في حبيبته « أسماء » :

أَذْنَتْنَا بَيْنِيهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوٍ يَحُلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

أما طرفة بن العبد ، فقد أكمل معلقته مائة بيت ابتدأها بالشوق إلى « خولة » محبوبته ، فذكر أطلال ديارها ، ومراكبها التي حملتها بعيداً منه ، ومراكبه التي يعضى عليها هائماً مشتاقاً إلى اللقاء ، ومطلع معلقته :

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالَ بِرَقَةٍ شَهْمَدٍ تُلُوحُ كَبَاقٍ الْوَسْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ويقول عنتر بن شداد العبسي في معلقته ، موجهاً الخطاب إلى عبلة ابنة عمه :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَّاحُ نَوَاهِلُ مَنِي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَهْيَا لَمَعَتْ كِبَارِقِي تَغْرِكُ الْمُتَبَسِّمِ

ويفتح النابغة الذبياني معلقته ، بذكر « مية » حبيبته وديارها التي أقفرت من

أهلها فيقول :

يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَمَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَدِ
أَضَحَّتْ خَلَاءً وَأَضْحَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لَبَدِ

ويقول ذو الأصبغ العدواني ، يشكو فراق محبوبته « ريبا » :

يَا مَنْ لِقَابٍ طَوِيلُ الْبَثِّ مَحْزُونِ أَمْسَى تَذَكَّرَ رِيًّا .. أُمَّ هَارُونَ
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا أَطِيعُ رِيًّا ، وَرِيًّا لَا تَعَايِنِي
تَرْمِي الْوُشَاةَ فَلَا تَخْطِي مَقَامَ نَاهُمْ بِصَادِقٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَكْنُونِ

ويقول السموءل بن عادباء من قصيدة له يشكو فيها مرارة العذل ، ويؤكد أنه لن

ينتهي عن حب صاحبه مهما يطل عدله ولومه :

أَعَاذَلْتِي : أَلَا - لَا تَعَذِّلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرِ عَاذِلَةٍ عَصِيَتْ
دَعَانِي وَارْشُدِي إِنْ كُنْتُ أَعْوَى وَلَا تَفْوَى - زَعَمْتَ - كَمَا غَوَيْتُ

أَعَاذِلُ : قد أطلت اللّومَ حتّى لو أنّي مُنْتَه . . . لقد انتَهَيْتُ
وحتّى لو يَكُونُ فتى أناسٍ بكى من عَذَلٍ عَاذِلِهِ ، بكَيْتُ
وأى تعبير عن الحبّ ، أرقّ وأعذبُ وأنقذ إلى القلوب قبل الأسماع ، مما عبّر عنه
الشاعر الجاهلي المنخل اليشكرى في بساطة محبّبة ، فقال :

وأحبّها ، وتحبّنى ويحبّ ناقتها بمرى !

وإذا كان هذا هو شأن « الحبّ عند العرب » في جاهليّتهم فلا شكّ في أن حظهم منه
قد أصبح أوفر ، بعد أن جاء الإسلام فألّف بين قلوبهم ، ورّقّق من طباعهم ومما بهم درجات
في تنظيم العلاقات بين الجنسين . وقرّر للمرأة حقوقاً لم تكن لها قبله ، وحرّم البناء .
وأوجب معاشرّة النساء بالمعروف ، أو مفارقتهنّ بالمعروف .

وقد استوصى النّبي عليه الصّلاة والسلام بالنساء خيراً ، وقرّر أن « خير متاع الدّنيا
المرأة الصّالحة » . وقال : « حُبِّبَ إلَيَّ من دنيّاكم ثلاث : النساء والطّيبُ وقُرّةُ عيني
في الصّلاة » .

وجاء الخلفاء الراشدون ، فتهجّوا نهجهم ، واتّبّعوا سنّته . وأصبح معنى الحبّ مرادفاً
لمعنى العفّة والرّغبة في استكمال الدين عند المسلمين .

وقد روى أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضی الله عنه ، أصاب في زمانه ناساً من
هذيلٍ ، فخرجت جارية منهم ، فاتّبعها رجلٌ يريدّها عن نفسها ، فرمته بحجر فضضتْ
كبده . فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

كذلك أفتى عبد الله بن عباس رضی الله عنهما - بأنّ قتيل الهوى لا دية فيه
ولا قصاص .

وفي أخبار الوالى العربى زياد بن أبى سفيان ، أنه قال لجلسائه يوماً : من أنعمُ الناس
عيشة ؟ قالوا : أمير المؤمنين . فقال وأين ما يلقى من قريش ؟ قالوا : إذن أنت . فقال :
وأين ما ألقى من الخوارج والتمنور ؟ قالوا : فمن أنعمُ الناس عيشة أيّها الأمير ؟ فقال :

رجل مسلم ، له زوجة مسلمة ، لها كفاف من العيش . وقد رضيت به ورضى بها ، لا يعرفنا ولا نعرفه .

وقد حرص أكثر الشعراء العرب بعد الإسلام على التزام ما كان عليه أسلافهم قبله ، من استهلال قصائدهم بالنزل والتشبيب بالنساء .

وروى أن النبيّ - صلوات الله وسلامه عليه - أعرب عن استحسانه هذا التقليد الأدبي ، حينما أنشده الشاعر كعب بن زهير قصيدته التي مدحه فيها واستهلها بقوله :

بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولٌ مُتَمِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولٌ
وَمَا سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ رَحَلُوا إِلَّا أَغْنَى غَضِيبُ الطَّرْفِ مَكْحُولٌ

وكان الخليفة العباسي هرون الرشيد يقسم أعوام حكمه : عاماً لحج البيت الحرام ، عاماً للجهاد في سبيل الله . ومع هذا كان يستحسن أشعار النزل ووصف لواجع الحب ، ويميز عليها ويرويها . بل كان هو نفسه فيما يقول الرواة يسابق الشعراء في هذا المضمار فيقول :

مَلَكَ الثَّلَاثَ الْآنَسَاتُ عِنَانِي وَحَلَلَنُ مِنْ قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَالِي تَطَاوَعَى الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا وَأُطِيعَنَّ وَهْنُ فِي عِصْيَانِي ؟
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ سُلْطَانَ الْهَوَى وَهُوَ الضَّعِيفُ أَعَزُّ مِنْ سُلْطَانِي !

وقد حفل تاريخ الأدب العربي بروائع خالدة من قصص الحب وأبطاله وبطلاته ، وكثير منهم ينطبق عليهم القول المأثور : « من أحب نفث فأت ، مات شهيداً » وما زالت قصصهم تضرب مثلاً على الإخلاص والوفاء .

من هؤلاء : مثلاً : جميل بن معمر صاحب بئينة الذي يقول فيها :

وَإِنِّي لِأَرْضَى مِنْ بُئِينَةٍ بِالَّذِي لَوْ أَبْصَرُهُ الْوَاشِي لَأَقَرَّتْ بِلَابِلِهِ
بـ « لا » ، وبألا أستطيع ، وبألني وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى وأخيره لا نلتقي وأوائله

وكان يرضى منها بالقليل كما أشار في البيتين ، وكما قال في بيت آخر :

أَقْلَبُ طَرْفِي ، فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِينَ يَنْظُرُ .

ومنهم جميل وبثينة ، من قبيلة عذرة المشهورة بالعشق والجمال ، وقد تحاببا صغيرين ، فلما كبر خطبها ، فرفض أهلها أن يزوجوها ، ومنعوه رؤيتها ، وهددوه بالقتل فلم يعبأ بتهديدهم ، ولامه أبوه على استهتاره ومخاطرته بنفسه ، فردّ عليه قائلاً :

« يَا بَتِ : هَلْ رَأَيْتِ أَحَدًا قَدَرُ أَنْ يَدْفَعَ عَنْ قَلْبِهِ هَوَاهُ ، أَوْ مَلَكَ أَنْ يَسْلِيَ نَفْسَهُ .
وَاللَّهِ لَوْ قَدَرْتُ أَنْ أَعْمُو ذِكْرَهَا مِنْ قَلْبِي ، أَوْ أَزِيلَ شَخْصَهَا مِنْ عَيْنِي ، لَفَعَلْتُ . وَلَكِنْ
لَأَسْبِيلُ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَلَاءٌ قَدْ بَلَيْتَ بِهِ لَحِينَ قَدْ أُتِيحَ لِي . عَلَى أَنِّي أُمْتَنِعُ عَنْ طُرُقِ
هَذَا الْحَيِّ وَالْإِلْمَامِ بِهِ وَلَوْ مِتُّ كَمَدًّا . وَهَذَا جَهْدِي وَمَبْلَغُ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ . وَمَا زَالَ عَلَى حَبِّهِ
لَهَا حَتَّى قَضَى أَسَى وَلَوْعَةً لِفِرَاقِهَا .

ومنهم قيسُ لُبْنَى . وكان قد تزوجها . وسعدا بقبائل الحبّ حيناً ، ثم طلقها زولاً
على إرادة أبيه . ولم ينفعه الندم بعد ذلك فهام على وجهه ينشد السلوان . لكنه لم يستطع
صبراً على فراقها ، وظلّ يذكرها حتى مات .

ومنهم توبة بن الحمير وصاحبته ليلي الأخيلىة ، وفيها يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَى وَدُونِي تَرْبَةً وَصَفَاحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ . . زَقَا إِلَيْهَا صَدْدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

ومنهم كثير وصاحبته عزة ، وعمر بن أبي ربيعة وصاحبته الثريا ، وقيس بن الملوّح
مجنون ليلي ، وقيس بن ذريح وصاحبته لُبْنَى ، وعروة بن حزام وعفراء ، وكثير غيرهم
من العشاق العرب في مختلف العصور والبلدان .

ولقد كان صاحب هذا الكتاب ، يعدُّ في طليعة المشهود لهم بالتعمق في دراسة تاريخ العرب وعلومهم وآدابهم وفنونهم، وسبق أن أخرجت له لجنة نشر المؤلفات التيمورية طائفة من الكتب القيمة في جمهرة من هذه الفنون والآداب والعلوم ، آخرها « الموسيقى والفناء عند العرب » أما هذا الكتاب « الحبّ والجمال عند العرب » فقد عثرت اللجنة على أكثر أصوله بخط المؤلف بين ما خلف من مخطوطات لم يقدر لها أن تطبع في حياته . وقد جمع رحمه الله هذه الأصول من مئات الكتب والمخطوطات التي اشتملت عليها مكتبته . وترك جزازات أشار فيها إلى موضوعات مماثلة في كتب ومخطوطات أخرى كان يعزّم إضافتها إلى الأصول ، فتولّت اللجنة هذه المهمة لتكمل الكتاب على النحو الذي أراده .

والكتاب يشتمل على عشرة أبواب : أولها في « صفات الحبّ وأغراضه » . وفيه فصول متفرقة أهمّها عن ماهية الحبّ ومعنى الحب والمحبوب وعشق الشرف وعشق الجمال وأحلام المحبين والحبيب الأول والحبيب الآخر والحبّ مع اختلاف الدين
وبالباب الثاني عن « أنواع الحب » وتندرج تحته فصول عن حبّ الولد وحبّ الأيّم واليتامى ، وأمثال في الحبّ ، وحجة بالغة .

وبالباب الثالث عن « حبّ الأزواج » وفيه فصول عن زواج النبي من خديجة وحبّها له وتقديره لها وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة ، على اختلاف ألوانه .

والرابع عن « الشعراء العشاق » وما قيل منهم في معشوقاتهم .

والخامس عن « الحب والجمال » وفيه فصول حبّ امتداح النساء ووصف جمالهن على اختلاف في ألوان الوصف والتشبيه وأسماء النساء .

والسادس عن « الغزل ووصف النساء » .

والسابع عن « العيون وما قيل فيها » ثراً ونظماً مع رسالة في معاني لفظ « العين » وآفة النظر وغائلته .

والثامن عن « تعدد الزوجات والأزواج » وفيه فصول عن حكمة التعدد في الإسلام إلى كشف وجه المرأة في الإحرام .

والتاسع عن « عداوة النساء » وأن طاعتهن تردى العقلاء وتذلّ الأعزاء .
أمّا الباب العاشر فحوى « طرائف عن الحب » وفيه فصول عن المرأة بين الحب والمال
ومن الحب إلى الزهد وغيرها من ضروب أخرى إلى محبة الأعداء .
وإنّا لعلّى يقين من أن هذه الأبواب والفصول كلّها - وقد اجتمعت مفصّلة وموضّحة
فى هذا الكتاب الجديد - جديرة بأن تجعله - كما أراد مؤلفه العلامة المحقق المنفور له
أحمد تيمور باشا رحمه الله - ذا نفع كبير للأدباء والتأديين ولقراء العربية أجمعين ،
والله وليّ التوفيق .

صفات الحب وأغراضه

الحب ما هو ؟

قال أبو بكر الوراق : سأل المأمون عبد الله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو ؟ فقال : يا أمير المؤمنين : إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة ، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء ، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة . فيصور من ذلك خلقٌ حاصرٌ للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب .

وسئل حماد الراوية - عن الحب ما هو ؟ فقال : الحب شجرة أصلها الفكر . وعروقها الذِّكر ، وأغصانها السَّهر ، وأوراقها الأسقام ، وثمرتها النية .

وقال مُعَاذُ بْنُ سَهْلٍ : الحبُّ أَصْعَبُ مَا رُكِبَ ، وَأَسْكَرُ مَا شَرِبَ . وَأَقْطَعُ مَا لُقِيَ ، وَأَحْلَى مَا اشْتَهِيَ ، وَأَوْجَعُ مَا بَطَّنَ ، وَأَشْهَى مَا عَلَنَ . وهو كما قال الشاعر :

وللحبِّ آفاتٌ إذا هي صرَّحتْ تَبَدَّتْ عِلَامَاتُهَا غُرُورَ صُفْرِ
فبَاطِنُهُ سَقَمٌ وظَاهِرُهُ جَوَى وَأَوَّلُهُ ذِكْرٌ وَآخِرُهُ فِكْرٌ

وقال بشار العقيلى :

هَلْ تَعْلِمِينَ وَرَاءَ الْحَبِّ مَنَازِلَ تُدْنِي إِلَيْكَ فَإِنَّ الْحَبَّ أَقْصَانِي

وقال غيره :

أَحِبُّكَ حُبًّا لَوْ تُحِبِّينَ مِثْلَهُ أَصَابَكَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى جُنُونُ
لَطِيفًا مِنَ الْأَحْشَاءِ ، أَمَا نَهَارُهُ فَدَمَعٌ ، وَأَمَّا لَيْلُهُ فَأَيْنُ

وقال الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، فى كتاب طوق الحمامة فى الألفة والألاف : الحبُّ أَوَّلُهُ هَزَلٌ وَآخِرُهُ جِدٌّ . دَقَّتْ مَعَانِيهِ - لَجَلَاتُهَا - عَنْ أَنْ تُوصَفَ

فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة . وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة .
إِذِ الْقُلُوبُ بِيَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

وقد أحبّ من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين كثير .

وأفتى ابن عباس بأنّ قتيل الحبّ لا دية له . والحبّ اتصالٌ بين أجزاء النفوس .

وقال الله عزّ وجلّ :

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... » .

وللحبّ علاماتٌ منها : إيمان النظر إلى المحبوب والإقبال بالحديث إليه ، والإنصات

إلى حديثه ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار .

ومن أفضل ما يأتيه الإنسان في حبّه : التعفّف ، وترك ركوب المعصية والفاحشة .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ

يُظِلُّهُمُْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

وَرَجُلٌ قَابَهُ مُعَلِّقٌ بِالمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ

اجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَتَفَرَّقَا ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَضَّضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى

لَا تَعْلَمَ سِمَالُهُ مَا تَنْفِقُ يَمِينُهُ » .

الحبُّ والمحجوب^(١) :

قولهم : أحببت حبا : الحب ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل بالمحجوب ،

ولذلك جاء على وزنه مضموم الأول ومن ثم جمع كما يجمع الشغل ، قال : ثلاثة أحباب : فحبُّ

علاقة ، وحبٌّ لخَلَّان ، وحبٌّ هو القتل .

وكما كان الفعل أعم وأشيع ، لم يكن لذكر مصدره معنى . ولولا كشف الشاعر

لاختلاف أنواع الحب ما كدنا نعرف مافيه من العموم وأنه - في معنى الشغل كما تقدم .

وقد أنشدوا في الصحاح بيتين هما :

أَحِبُّ أَبامروان من أجل تَمَرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ بالمرء أَرْفَقُ
ووالله لولا تَمَرُهُ ما حَبَبْتُهُ وَكان عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمُشْرِقُ

ولما جاءوا إلى اسم الفاعل - أتوا بالاسم الرابع حتى كأنهم لم ينطقوا بالثلاثي فقالوا :
حُبٌّ ولم يقولوا : حابٌّ أصلاً . وجاءوا إلى المفعول فأتوا به من الفعل الثلاثي - في الأكثر
فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : مُحَبَّبٌ - إلا نادراً كما قال :

ولقد نزلت فلا تظنني غيره مني بمنزلة المحبِّ المكرم

فهذا من : أحبيت - كما أن المحبوب من : حبيت ، ثم استعملوا لفظ الحبيب في :
المحبوب ، أكثر من استعمالهم إياه في الحب ، مع أنه يطلق عليهما .

فمن جيئته بمعنى المفعول قول ابن الدُمَيْنَةِ :

وإن الكتيب الفرد من جانب الحمى إلى وإف لم آتِهَ لَحِيْبٌ

أى : لمحبوب . ومن جيئته للفاعل - قول المجنون :

أتهجرُ كَيْلَى بالفراق حبيبها وما كلُّ نفس بالفراق تطيبُ

فهذا بمعنى : محبها . وربما قالوا للحبيب : حِبٌّ : مثل خدن ، نَحْدُنْ وخدينٌ مثل :
حِبٌّ وحبيب . وإذا ثبت هذا فقوله : الحبُّ ليس بمصدر لأحبيت ، إنما هو عبارة عن الشغل
بالمحبوب ، وأجروه على الفعل الرابع استثناءً عن مصدره ، وهذا لكثرة ولوع أنفسهم
بالحب والسنتهم به ، فاستعملوا منه أحبَّ المصدرين استثناءً به عن أقلهما .

فلما كان الحبُّ ملازماً لذكر محبوبه ، ثابت القلب على حبه ، مقيماً عليه لا يروم عنه
انتقالاً ولا يبنى عنه زوالاً ، اتخذ له في سويداء قلبه وطناً ، وجعله له سكناً ، حيث
قال :

تزل الجبال الراسياتُ وقلبهُ على المهْدِ لا يلوى ولا يتغيرُ

وفى شرح لامية المعجم . . للصفدى :

فالحبُّ حيثِ العدا والأسدُ رابضةٌ حولِ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأسَلِ

الحب - بالضم : المحبة ، وبالكسر : الحبيب نفسه . قال ابن الأنبارى :

« الحب هو الحبيب . يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد » . ويحكى عن بعض العرب أنهم يقولون : فلانة حَبَّتْ .

عشق الشرف وعشق الجمال :

قال عروة بن الزبير رحمه الله : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسن شرفها ، فإني لأعشق الشرفَ كما أعشقُ الجمال » .

وإنما أراد الحسب ، وصراحة النسب ، كما قال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام : « ما عشقت من امرأة قط إلا حسبها » .

وقال كثيرُ الشاعر :

وأنت التى حببتِ كلَّ قصيرةٍ إلى وما تدرى بذاك القصارُ

ولم يرد : القصيرة القدة ، وإنما أراد القصورة فى الجمال ، من قولك : قصره ، إذا حبسه .

والمقصورة هى : المحجوبة . ومنه قول الله تعالى : « حورٌ مقصوراتٌ فى الخيام » أى :

محبوسات . وقوله تعالى : « فهن قاصراتُ الطرفِ » أى : قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبين بهن بدلاً .

ويدل على مراد كثير فى بيته ، قوله فى البيت الذى بعده :

عنيتُ قصيراتِ الحجالِ ولم أَرِدْ قصارَ الخطى ، شرَّ النساءِ البحارُ

والبحارُ : القصار .

أحلام المحبين :

كان أبو القاسم عليّ الشريف المرتضى شاعراً عفّ اللسان، يهوى الحُسن أينما وجدّه، وينحو فيه منحى طاهراً بريئاً. واشتهر بحبّ الجمال المُذريّ ... وقد عشقَ الأدبَ الرفيع، كما عمّرَ فوقَ الثمانينَ عاماً ، حيث ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ هـ - ومن شعره :

ضنّ عني بالنزّر إذ أنا يقطا نُ وأعطى كثيره في المنامِ
والتقينا كما اشتهينا ولا عي بَ سوي أن ذاك في الأحلامِ
وإذا كانتِ الملاقاةُ ليلاً فالليالي خير من الأيامِ

وقال الشريف الرضي (أخوه) وكان شاعراً مثله يتفق معه في هواه وحبه وعشقه للحُسن والجمال :

بنّا خجيمين في فوحي هوى وتُهي يلفنّا الشوقُ من فرقٍ إلى قدَمِ
وباتَ بارقُ ذاك الثغرِ يوضحُ لي مواقعَ الآثَمِ في داجٍ من الظَمِ

الحبيب الأول والحبيب الآخر :

قال حبيب الطائي :

قلّ قوادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألوه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوّل منزلِ

وقد ردّ عليه شعراء آخرون . فعن ذلك قول بعضهم :

افخرَ بآخر من كلفت بحبه لا خيرَ في حبّ الحبيب الأولِ
أنشكُ في أن النبيَّ محمداً سادَ البرية وهو آخرُ مرسلٍ !

ومنه قول ديك الجن الحمصى :

كذب الذين تحدّثوا أنّ الهوى لا شكّ فيه للحبيب الأول
ما لم أجنّ إلى خراب مقفر درست معالمة كأنّ لم يؤهل

فقال حبيب « حين بلنه قول ديك الجن » :

كذب الذين تحرّصوا في قولهم ما الحبّ إلّا للحبيب الأول
أو طيّب في الطعم ما قد ذقته من ما كلّ أو طعم ما لم يؤكل
قال العلويّ الأصهباني (١) :

دع حبّ أول من كلفت بحبه ما قد تولّى لا ارتجاع لطيبه
هل غائب اللذات مثل الحاضر؟ إن الشيب وقد وفى بمقامه
أوفى لدى من الشباب النادر دنيالك : يومك دون أمسك فاعتبر
ما الحبّ إلّا للحبيب الآخر ما السالف المفقود مثل النابر

الحب مع اختلاف الدين :

قال أبو الطحان الأسديّ ، وكان نديماً لفاس من النصارى :

كأنّ لم يكن في القصر ، قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق
معى كلّ فضفاض الثياب كأنه إذا ما جرى فيه الدام فتيق
وإني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

والشيخ رجب الحريرى قصيدة يصف فيها حبّه لفتى نصرانى يقول فيها :
أرقُّ من رَوْحِ الصَّبَا وَأَطْيَبُ كَلَاءُ جَنَمًا بِاللَّحَاطِ يُشْرَبُ
ولفظه السَّحَرُ الحلالُ يطربُ سَكَرْتُ مِنْهُ وَهُوَ مُشْهَدٌ يَعَذُّبُ
فأعجب لِشَهِدٍ مُسَكِّرٍ مِنْ سِحْرِ

قَابِلَتُهُ بِأَحْسَنِ الْكَلَامِ مُرَجَّبًا مُعْظَمًا مَقَامِ
وَوَجْهُهُ الْوَضَّاحُ فِي ابْتِسَامٍ وَخَصَنِي بِاللُّطْفِ وَالْإِكْرَامِ
وَبِالْجَمِيلِ وَالْحَيَا وَالْبِشْرِ

الحبُّ فى كلِّ حال :

قال عنتره العبسىُّ به يصف حبّه لعملة ابنة عمّه ، على ظلمها إياه :
أُحِبُّكَ يَا ظُلُومُ وَأَنْتَ مَنِّى مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
لَوْ أَنَّى أَقُولُ : مَكَانَ رَوْحِى لَخِفْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ

وقال بعضهم ، فى الوداع :
وَدَّعْتُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَعْلَمُوا وَرَحْتُ وَالْقَلْبُ بِهِمْ مُغْرَمُ
سَأَلْتُهُمْ تَسْلِيمَةً مِنْهُمْ عَلَى إِذْ رَاحُوا . . فَمَا سَلَّمُوا
وَاسْتَخَسَّنُوا ظِلْمِى فَمِنْ أَجْلِهِمْ أَحَبُّ قَلْبِى كُلِّ مَنْ يَظْلِمُ
وقال دُعْبُلُ الخَزاعى :

وَقِفْ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مَتَأَخَّرُ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمُ
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَبًّا لَذِكْرِكَ فَلْيَكُنْ لِي الْوَمُ
وَأَهْنِئْنِي ، فَأَهْنَتْ نَفْسِي صَاغِرًا مَا مِنْ يَهْوٍ عَلَيْكَ يَمُنُّ بِكُرْمِ

حب النساء المال :

قال الزُّيَيْرُ بن بَكَارٍ في أنساب قريش^(١) : كان « نُبَيْهٌ » وأخوه مِنْبَهٌ » من وجوه قريش ، وذوى النَّبَاهَةِ فيهم ، ولكنهما قُتِلَا « بيدرٍ » كافرَيْنِ ، وكانا من الطَّعْمَيْنِ يَوْمَ بَدْرٍ .

لقد كان « نُبَيْهٌ » بضمَّ النون وفتح الموحدة بمدِّها « ياء » ساكنة « فهاء » وكنيته «أبو الزَّرامِ» بتشديد الزَّاي المعجمة ، ابن الحجاج بن عامر بن حُذَيْفَةَ بن سعيد بن سهم بن عمر ابن هُصَيْصٍ «بالتصغير» بن كعب بن لؤى بن غالب. وكان نُبَيْهٌ شاعراً مطبوعاً على الإِجادة ، وقد قيل : إن زيد بن عمرو بن نفيل كان يقول :

تلك عرساي تنطقان لهجرٍ وتقولان قولَ أثرٍ وعثرٍ

فقال نُبَيْهٌ من القافية نفسها ، في زوجته وقد سألتاه الطلاق :

تلك عرساي تنطقان على عَمِّ	دِأْنِ اليومَ قول زورٍ وهَرٍ
سألتاني الطلاق أن رأنا ما	لى قليلاً . . قد جثمانى بُنْكَرٍ
فلمَّا أن يكثرُ المالُ عندي	ويعمرِّي من المَغارِمِ ظهري
ونرى أعبدُ لنا وأواقي	ومناصيفُ من خِوادمَ عَشْرِ
ونَجْرُ الأذيالِ في نِعمَةٍ مُمَّ	تقولان : ضع عصاكَ لَدَهِرٍ
وى كانَ مَنْ يَكُنْ له نَشَبٌ	يُحِبُّبُ ومن يفتقرُ يعيشَ ضُرٌّ
ويحبُّبُ سرَّ النَجِيِّ ولكن	أخا المالِ مُحضَرٌ كُلُّ سرٍّ

ومن شعره :

قصر الشيء بي ولو كنت ذاماً	ل كثير لأجلب الناسَ حَوَلي
ولقائوا : أنت الكريمُ علينا	ولخطوا إلى هوايَ ومَتَلي
ولكِلْتُ المعروفَ كيلاً هنيئاً	يُعجزُ الناسَ أن يكيلُوا كَكِلي

وله أيضاً :

قالت سُلَيْمَى يوم جئتُ أزورها لا أبتنى إلا امرأً ذا مالٍ
لا أبتنى إلا امرأً ذا أنْضُرٍ كما أسدُّ مفارقٍ وخِلالي
فلا حرصنَّ على اكتسابٍ مُحَبَّبٍ ولا كَسَبَنَ في عَفَّةٍ وجمالٍ

في خلاصة الأثر ج ٢ :

كان الأديب حُسَيْن بن أحمد بن حُسَيْن المعروف «ابن الجزري» الشاعر المشهور الحلبيُّ أحد المجيدين ، جمع شعره بين الصناعة والرقّة . كان إذا تكلم لا يظنّه الإنسان يعرف شيئاً ، وكان له خطٌّ نسخيٌّ غايةً في الحُسْن إلا أنّه كان شديد الأخلاق أحياناً ، وكان مغرمّاً بشعر أبي العلاء المرمّى ، كثير الأخذ منه ، وأخيراً رآه في منامه وقرأ عليه اللّزوميات . وسمعه يقرّر في تلك الرؤيا : أنّ الخير كلّ الخير فيما أكرهتك النفس الطبعيّةُ عليه ، والشرّ كلّ الشرّ فيما أكرهتك النفس عليه .

ومن شعر ابن الجزريّ :

إن كنت متخذاً لجرحك مرهماً فكتابُ ربِّ العالمين المرهمُ
أو كنت مصطحباً حبياً سالكاً سُبُلَ الهوى فلزومُ ما لا يلزمُ

ومن شعره في الغزل :

ما عشتُ من ألمِ الفراقِ لو لمْ أُطِلْ أملُ التلاقِ
فأظُلَّ كاللسوعِ من أنفى النوى ، ورجاى راقِ
يا نالك القمرينِ إلا فى الكسوفِ وفى الحاقِ
حتامِ دمعى فيكَ لا يرقا . . ورؤى فى التراقِ
وإلامَ يستسقى الفؤا دُ ظمّاً ، وأجفانى سواقِ

وغريق دمع العين لا تلقاه إلا في احتراق
 والحب ما أروى الضلوع عَ جوى ، وما أروى المآقي
 ففساك أن تجزى محبة كَ في المحبة بالوفاق
 ولقد لقيت هواك أع ظم ما لقيت ، وما ألاق
 وصبرت فيك على العدا صبر الأسير على الوثاق
 وعلمت أن الصبر يا عذب اللعى مر المذاق
 فاعرض عن الإعراض إء راضى لديك عن النفاق
 وارفق ولو بالالتفا ت على ما بين الرقاق
 فلقد يكون تلفت الأ عناق داعية المناق
 واستبق منى باللقا بواقياً ليست بواق
 أعضاء صب ، ماله إلاك من عينيك وافي
 فالبعض سود عيونها أمضى من البيض الرقاق
 وقدودهن رواشق في الطعن كالسهم الرشاق
 وإذا بليت مجهن بليت بالدفع المراق
 ومن جيد شعره قوله :

تنفدك ساقياً قد كساك الـ
 تشرق الشمس من يدك ، ومن في
 أوليس العجيب كونك بدرًا
 فتنة أنت إذ تميت وتحى
 لست من هذه الخليقة بل أن

الحب خضوع النفس :

وكان حاتم بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الأهدل
اليمنى الحسينى مشهوداً له بتحصيل أنواع العلوم والمعارف ، والنظم والنثر ، وقد رحل
إلى كثير من البلدان ، وأقام بالحرمين ، ثم توطن المَخَا ، وحصل له بها شأن عظيم يبطه
عليه صفوة أصحابه وأترابه ، إذ كان له يد طولى فى العلوم الشرعية والفنون العربية ، إلا
أنه غلب عليه التصوف ، كما كان متقناً لعلم الأسماء والحروف ودوائر الأولياء ، حتى إنه كان
زاهداً فى الدنيا ، ومن شعره قوله مشطراً فائية ابن الفارض :

قلبي يُجِدُّنِي بِأَنَّكَ مُتَلَفِي عَجَّلَ بِهِ وَلَكَ الْبَقَا ، وَتَصَرَّفِ
قد قلتُ حينَ جهلتنى وعرفتني رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
أَنْتَ الْقَتِيلُ بِأَيِّ مِنْ أَحَبَّتْهُ فَلَكَ السَّعَادَةُ فِي الشَّهَادَةِ يَا وَفِي
ولقد وصفتُ لك الغرامَ وأهله فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ فِي الْهَوَى مِنْ تَصَطَّفِي
وقال مَحْمُداً قصيدة ابن النّبيّه :

رقم العذولُ زخارفاً وتصدماً وَأَشَاعَ نَقْضَ الْعَهْدِ عَنْكَ وَشَفَعَا
فَأَجَبْتُهُ وَالنَّفْسُ تَقْطُرُ أَدْمُعَا أَفْئِدِيهِ إِنْ حَفَظَ الْهَوَى أَوْ ضَيَّعَا
مَلِكُ الْفُؤَادِ فَاغْشَى أَنْ أَصْنَعَا

حكم الغرامُ فَلَذُّ بِهِ وَبِحَكْمِهِ وَائْتَبْتُ عَلَى مَفْرُوضٍ وَاجِبِ رِسْمِهِ
وَاخْضَعْ لِمَدَالِ الْحُبِّ فِيهِ وَظَلَمِهِ مَنْ لَمْ يَذُقْ ظَلَمَ الْحَبِيبَ كَظَلَمِهِ
حُلُوءاً فَقَدْ جَهَلَ الْحَبَّةَ وَادَّعَى

يَا مَنْ بِلُطْفِ جَمَالِهِ قَلْبِي أَقْتَنَصَ صَبْرِي عَلَى الْأَعْتَابِ مِنْ جِلْدِي نَكْصَ
وَبَاتَ حُجْلِي حِينَ زَمَرْتُمْ رَقْصَ

يَا صَاحِبَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ تَدَارَكَ الصَّ بَرَّ الْجَمِيلِ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعَضَا
وَفَرَّتْ مِنْ نَبْلِ اللَّوَاظِظِ أَهْمِي وَكَلَّمْتُ أَحْشَائِي وَلَمْ أَتَكَلَّمْ

وهجرتني ظُلماً ولم أُنظَلِّمْ هَلْ فِي فُؤادِكَ رَحْمَةً لِّمُتِّمٍ
ضَمَّتْ جِوَانِحَهُ فُؤاداً مُوجِماً

إِنِّي اعْتَرَفْتُ بِزَلَّتِي وَجَنَائِي . وَرِضَاكَ مَقْصُودِي وَغَايَةُ غَايَتِي
يَا مَنْ ضَلَّالِي فِيهِ عَيْنُ هِدَايَتِي هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبْتَ صَبَابِي
أَوْ أَشْتَكِي بُلُوأِي أَوْ أَتَضَرَّعَا ؟

لِي فِي حِمَاكَ مَسَارِحَ وَمَطَامِحَ كَمْ بَتْ لِلْفُزْلَانِ فِيهِ أَطَارِحُ
يَا قَلْبُ إِنْ الْيَوْمَ طَيْبِكَ نَارِحُ يَا عَيْنَ عُذْرِكَ أَنْ حُبِّي وَاضِحُ
كُلِّي لِفَرْقَتِهِ أَرَادَ وَأَزْمَعَا

أشقى الناس أهواها :

زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي الشافعي الحلبي ، ولد بحلب ونشأ بها وكان
له مذاكرة تأخذ بلبِّ الصاحب ومحاضرات وترغَّب من محاضرات الراغب ، وله شعر
قصير منه قوله :

كُتِبَتْ وَأَفْكَارِي بِحَبِّكَ مُزَّتْ . كَمَا قَدْ بَدَتْ فِي الْحُبِّ كُلِّ مِمَزَقِ
وَلَوْ حُمَّ لِي التَّوْفِيقُ كُنْتُ تَرَكْتُهُ وَلَكِنِّي أَصْبَحْتُ غَيْرَ مُوْفِقِ
إِذَا قِيلَ أَشَقَى النَّاسَ مَنْ بَاتَ ذَا هَوًى فَلَا تَنْكُرُنْ هَذَا الْمَقَالَ وَصَدَقِ

وقال متغزلاً :

سَأَلْتُهَا عَنْ فُؤَادِي أَيْنَ مَسْكَنُهُ فَإِنَّهُ ضَلَّ عَنِّي عِنْدَ مَسْرَاهَا
قَالَتْ : لَدَى قُلُوبِ جَمَّةٍ جَمْتُ فَأَيُّهَا أَنْتَ تَبْنِي ؟ قُلْتُ : أَشَقَاهَا

رابعة العدوية :

روى ابن خلكان قصة « رابعة العدوية » شهيدة الحب الإلهي ، قال :
كانت أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية ، مولاة آل عتيك ، من أعيان
عصرها ، وأخبارها في الصلاح والعبادة مشهورة .

وذكر أبو القاسم القشيري في « الرسالة » أنها كانت تقول في مناجاتها : إلهي .. أتحرقُ
بالتَّارِ قلباً يحبك ؟ ... فهتف بها مرة هاتف : ما كنّا تفعل هذا فلا تظنني بنا ظنَّ السوء !
وكان سُفيان الثوريُّ عندها يوماً ، فقال : واحزنناه ! فقالت له : « لا تكذب ، بل
قل : واقلةُ حزننا ! . لو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس .

وقال بعضهم : كنت أدعو لرابعة العدوية ، فرأيتهَا في المنام تقول : هداياك تأتينا على
أطباق من نور مخمرة بمناديل من نور .

وكانت تقول : ما ظهر من أعمالى فلا أعدّه شيئاً .

ومن وصاياها : اكنتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم .

وأورد لها الشيخ شهاب الدين السهروردي - في كتاب « عوارف المعارف » قولها :

إِنِّي جَمَلْتُكَ فِي الْفَوَادِ مَحْدَّتِي وَأَبَحْتُ جِسْمِي مِنْ أَرَادِ جُلُوسِي
فَالْجِسْمُ مَبْنَى لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفَوَادِ أُنَيْسِي

الحب أحسن المعاصي :

في « لوعة الشاكي ودمعة الباكي » لابن الصفي :

انتصف الليلُ ، وأقبلتُ عساكرُ السعد بالرَّجُلِ والخَيْلِ ، فأمرت صاحبي برفع الدمام ،
وتجهيز المرقد للغانم ، فرفع الأواني في الحال ، وأقبل على ذلك الشان وطال ، وعلق في المرقد
نقحات المسك الأذفر ، وأطلق فيه مباخر الند والعنبر . ثم قال : أين ترسم لي أن أبيت ؟

فقلت : ثم عندنا لكن خارج البيت ، فأنت ممن تحققنا منه الروعة والشفقة ، فأخرج عناورد الباب بالحلقة. ففعل ما أمرناه وخرج ، ولم يبق في الصدر هم ولا حرج فقلت لمحبوبي : أما تقوم بنا لننام ، وأنعم بتقبيل الثمر واعتناق القوام ، فقال لي : أقوم ولكن العناق حرام ، فقلت : في عنق تكون الأوزار والآثام :

فقام ينهضُ والصَّهْبَاءُ تُقْعِدُهُ سُكْرًا وحاول أن يسعى فلم يُطبقِ
وقال لي بفتورٍ من لوحظه إن العناق حرامٌ قلتُ : في عنق
فقال : استغفر الله من الفجور واللفظ ، ومن وقوعك أيها الإنسان في النلط .

فقلت : لا تظن أن محبتك من الماصي والسيئات ، واعلم أن هواك من أفضل الفضائل وأحسن القربات .

أستغفرُ اللهَ إِلَّا مِنْ مَحَبَّتِكُمْ فَإِنهَا حَسَنَاتِي يَوْمَ أَلْقَاهُ
فإن زعمتم بأنَّ الحبَّ مَعْصِيَةٌ فَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يُعْصَى بِهِ اللهُ

الهوى قدره :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش . قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد المبرِّدُ
قال : سألت أبا الفضل الرياشي عن معنى قول الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرقُ يلمعُ في الغمامة

فقال : هو عندي كقولهم : ويل للشجي من الخلي . ومعناه : إن البرق يضحك والريح تبكي .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى أن الريح تبكي شجوها ، والبرق يبكي أيضاً وهو يلمع

في الغمامة .

وأنشدنا أبو بكر الأصبهاني لنفسه :

إِلَّا تَكُنْ فِي الْهَوَىٰ أَرَوَيْتَ مِنْ ظُلْمًا
لَقَدْ دَلَّلْتَ عَلَىٰ أَنَّ الْهَوَىٰ بَدَلٌ
فَحَسَبُ نَفْسِي غَنَىٰ عِلْمِي بِمَوْضِعِهَا
وَأَنْتَ خَالٍ وَقَلْبِي ذَا الَّذِي مَلَكَتْ
إِنِّي وَغَلَّةُ نَفْسِي فِيكَ قَائِمَةٌ
وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارٍ لِي فَأَتْرَكُهُ
لَكِنَّهُ مِنْ أُمُورِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ
لَنْ يُضَبِّطَ الْعَقْلَ إِلَّا مَنْ يَدْبُرُهُ
كُنْ مُحْسِنًا أَوْ مُسِيئًا وَابْقَ لِي أَبَدًا

وأنشدنا لنفسه في مثل هذا :

فَإِنْ تَكُنِ الْقُلُوبُ إِذَا تُجَازَى
فَالِ أَهْوَنُ الثَّقَلَيْنِ جَمْعًا
عَدْتُ سَنِينَ أَسْتَخْفِي التَّصَابِي
فَلَمْ تُقْلِعْ صُرُوفَ الدَّاهِرِ حَتَّى
تَبْغُضَ مَا اسْتَطَعْتَ وَعَشْ سَلِيمًا

وأنشدنا أبو إسحاق الزجاج قال : أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا الرَّابِكُ الْغَادِي لِطَيْتِهِ
مَا عَالَجَ النَّاسُ مِنْ وَجْدِ أَلَمِ بِهِمْ
حَسْبِي رِضَاؤُهُ ، وَأُنَىٰ فِي مَحَبَّتِهِ
عَرَّجَ أَنْبَتُكَ عَنْ بَعْضِ الَّذِي أَجِدُ
إِلَّا وَجَدْتُ بِهِ فَوْقَ الَّذِي وَجَدُوا
وَوَدَّهَ آخِرَ الْأَيَّامِ أَجْتَهِدُ

وأنشد سليمان بن عبد الله بن طاهر لأبيه :

أَلَا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ غَمْدَةٌ لِقَلْبِهِ
فَإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ قَلْبٌ فَقَلْبُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي غَمْدٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَصْلُ
هُوَ النَّصْلُ ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِهِ فَضْلُ

أنواع الحب

ضروب المحبة^(١) :

المحبة ضروبٌ: أفضلها محبة المتحايين في الله ، ثم محبة القرابة ، ومحبة الألفة والاشتراك في المطالب . ومحبة التصاحب والعرفة . ومحبة البر يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحايين لسرٍّ يجتمعان عليه ويلزمهما ستره . ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق الناشئة عن اتصال النفوس .

حب الولد^(٢) :

أرسل معاوية إلى الأحنف بن قيس فقال : يا أبا بحر ، ما تقول في الولد ؟ قال : ثمارُ قلوبنا ، وعمادُ ظهوررنا ، ونحنُ لهم أرضٌ ذليلةٌ ، وسماؤُ ظليلةٌ . فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمتحوك ودّهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً ، فيملوا حياتك ، ويحبّوا وفاتك .

فقال معاوية : لله أنت يا أحنف ، لقد دخلت على وإني لملولاً غضباً على يزيد ، فسألته من قلبي .

فلما خرج الأحنف من عنده ، بعث معاوية إلى يزيد بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب . فبعث يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

وكان عبد الله بن عمرَ يذهب بولده سالمٍ كلَّ مذهب ، حتى لامه الناسُ فيه فقال : يلومونني في سالم ، وألومهم وجِلْدَةُ بَيْنِ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ وقال : إن ابني سالماً ، ليحبُّ الله حُبّاً لو لم يخفْهُ مَا عَصَاهُ .

(١) في كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم (٢) في العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٧ .

وكان يحيى بن النعمان يذهب بولده داودَ كلَّ مذهبٍ حتى قال يوماً : أئمة الحديث أربعة ، كان عبدُ الله ، ثم كان علقمة ، ثم كان إبراهيم ، ثم أنت يا داود .
وقال : تزوجتُ أمَّ داود ، فما كان عندنا شيءٌ أُلْفُهُ فيه حتى اشتريتُ له شِكوَّةَ يدانٍ .

وقال زيد بن علي لابنه : يا بُنَيَّ ، إنَّ الله لم يرْضَكَ لي فأوصاك بي ، ورضيتُ لكَ فخرَ نيك ، واعلم أنَّ خيرَ الآباءِ للأبناء من لم يدعهُ التَّدليلُ إلى التفريط ، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يدعهُ التَّقْصيرُ إلى المُعْقوق .

وفي الحديث المرفوع : « ریحُ الولدِ من ریحِ الجنة » . وفيه أيضاً : الأولادُ من ریحانِ الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ، لما بُشِّرَ فاطمة : « رِيحَانَةُ أَشْمَهَا ورزقها على الله » .

ودخل عمرو بن العاص ، على مُعاويةَ وبين يديه بنتُه عائشة . فقال : من هذه ؟ قال : هذه تَفَاحَةُ القلب . فقال له : انبذها عنك ، فوالله إنهنَّ لَيَكِيدُنَّ الأعداءَ ، ويُقَرِّبُنَّ البُعداءَ ، ويورثنَّ الضَّغائنَ .

فقال له معاوية : لا تغلِ ذاك يا عمرو : فوالله ما مَرَضَ المرضي ، ولا نَدَبَ الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهنَّ . وربَّ ابنِ أختٍ قد تقع خالهُ .

وقال المعلِّ الطائي :

لَوْلَا بُنَيَاتُ كَرْزُوبِ الْقَطَا يَرُدُّنَّ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا . بَيْنَنَا أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
وكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تُرَقِّصُ الحُسَيْنَ بن علي رضي الله

عنهما وتقول :

إِنَّ بُنَيَّ شَبَهُ النَّبِيَّ لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ

وكان الزبير بين العوام يرّقص عروّة ابنه ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
التدّه كما الدّ ريق

وقال أعرابي يرّقص ولده :

أعرف منه قلة النّاس وخفة من رأسه في راسي
وقال عبد الملك : أضربنا في الولد حُبنا له ، فلم تؤدّبهُ ، وكأنّ الوليد أدّبنا^(١) .

* * *

حبّ الأياى واليتامى :

من بديع أخبار الحكم أن العباس الشاعر توجه إلى الثغر ، فلما نزل بوادى الحجارة ،
سمع امرأة تقول : واغوثاه بك يا حكم ، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيتّمنا
وأيتّمنا . فسألها عن شأنها . فقالت : كنت مُقبلّة من البادية في رِقّة ، فخرجت علينا خيلُ
عدوّ فقتلت وأسرت ، فصنع قصيدته التي أولها :

تمكّمتُ في وادى الحجارة مُسنّداً أراعى نجوماً ما يرينَ تَمَعِراً
إليك أبا العاصي نصيتُ مطيحي نسير بهم سارياً ومُهَجِراً
تداركُ نساء العالمين بُنْصرةً فإنك أحرى أن تُغيثَ وتنصراً

فلما دخل عليه أنشده القصيدة ، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه ،
فأنفَ ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاث إلى وادى الحجارة ، ومعه
الشاعر . وسأل عن الخيل التي أغارت من أى أرض العدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فنزا
تلك النّاحية ، وأتخّن فيها ، وفتح الحصون والديار ، وقتل من العدو عدداً كثيراً . وجاء
إلى الوادى فأمر بإحضار المرأة ، وجميع من أمر له أحد في تلك البلاد ثم أمر بضرب

(١) يريد بالوليد ابنه « الوليد بن عبد الملك » . (٢) في نفع الطيب ج ١ ص ١٦٢ .

رقاب الأُمري بحضرتهم ، وقال للعباس : سلها هل أغاثها الحكمُ ؟ فقالت المرأة وكانت نبيلة : والله لقد شفى الصدورَ ، وأنكى الدؤى ، وأغاثَ الملُوفَ ، فأغاثه الله وأعزَّ نصره .

فارتاح لقولها ، وبدا السرور في وجهه وقال :
 أَلَمْ تَرَ يَا عَبَّاسُ أَنِّي أَجَبْتُهَا عَلَى الْبُعْدِ أَقْتَادَ الْخَمِيسِ الْمَظْفَرَا
 فَأَدْرَكْتُ أَوْطَارًا . وَأُبْرِدْتُ غُلَّةً وَفَفَسْتُ مَكْرُوبًا وَأَغْنَيْتُ مُعْسِرًا
 فقبل عباس يده وقال : نعم ، جزاك الله خيرًا عن المسلمين .

* * *

أمثال في الحب^(١)

قول لسان الدين الخطيب :

أصناف المحبين والعشاق كثير ، بحيث يشقُّ إحصاؤهم ، ولا يتأتى استقصاؤهم . كما أورد
 أبياتًا من قصيدة أبي فراس الحمداني ، التي يقول فيها :
 تَسْأَلُنِي : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ عَلِيمَةٌ وَهَلْ بَقِيَ مِثْلِي عَلَى حَالِهِ نُكْرُ
 فَقُلْتُ كَمَا شَاءَتْ وَشَاءَ لَهَا الْهَوَى قَتِيلُكَ ، قَالَتْ : أَيُّهُمْ فَهْمٌ كَثُرُ ؟
 وفي هذا تنبه النفوس الصَّعبة ، على حكم المحبة ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَا
 مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ » .

ثم قال المؤلف : « وهذه حِكْمٌ تجرى مجرى الأمثال : المحبةُ بحرٌ بعيد الشَّطِّ ، والفناءُ
 مُنْتَهَى الْخَطِّ . المحبةُ مَهْوًى مِنْ بَعِيدٍ ، وَجَالٌ وَعْدٌ وَوَعِيدٌ .
 المحبةُ ظَهَرٌ لَا يَرَكُبُهُ مَنْ يَرَى الْمَوْتَ فَيَتَنَكَّبُهُ . كم قصص المحبة من ظَهَرَ ، وكم سِرَّ
 صَوْتُ إِلَى قَهْرٍ .

(١) في نفع الطيب ج ٢٩ أورد المؤلف قول لسان الدين الخطيب .

حجة بالغة :

قال ابن السُّبُكِيِّ رحمه الله تعالى :

قالتُ : أَلَا لَا تَلِجَنَّ دَارَنَا	إِنَّ أَبَانَا رَجُلٌ غَايِرُ
قلتُ : فَإِنِّي حَاضِرُهُ . . زَائِرًا	وَلَا يُبْلَامُ الزَّائِرُ الْحَاضِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّيْثَ عَادَ بَنَا	قلتُ : فَسَيَفِي مَرْهَفٌ بَاتِرُ
قالتُ : فَإِنَّ الْقَصْرَ مِنْ دُونِنَا	قلتُ : فَإِنِّي فَوْقَهُ طَائِرُ
قلتُ : فَإِنَّ الْبَحْرَ مِنْ بَيْنِنَا	قلتُ : فَإِنِّي سَابِجٌ مَاهِرُ
قالتُ : فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ فَوْقِنَا	قلتُ : نَعَمْ ، وَهُوَ لَنَا غَافِرُ
قالتُ : فَحَوِّلِي إِخْوَةَ سَبْعَةٍ	قلتُ : فَإِنِّي لَهُمْ حَازِرُ
قالتُ : لَقَدْ أَعْيَيْتَنَّا حُجَّةً	فَأَتِ إِذَا مَا هَجَّ السَّامِرُ
وَاسْقُطْ عَلَيْنَا كَسْقُوطِ النَّدَى	لَيْلَةً لَا نَامُ وَلَا آمِرُ

حب الأزواج

زواج النبي من خديجة^(١) :

قال صاحب كتاب « سنا المهتدى »

أهل السيرة مختلفون فيمن تولى تزويج السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم مشى هو وعمه حمزة بن عبدالمطلب إلى والدها خويلد بن أسد في ذلك . وذكر غير ابن إسحاق أن خويلد كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة هو عمها عمرو بن أسد . قال البرّد : وهو الذى خطب خطبة النكاح ، وكان ممّا قال في تلك الخطبة : « أما بعد ، فإنّ محمداً منى لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفاً ونبلاً وفضلاً وعقلاً ، وإن كان فى المال قِل ، فإنّ المال ظلّ زائل ، وعارية مسترجعة ، وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ، ولها فيه مثل ذلك » . فقال عمرو : هو الفحل لا يقرع أنفه ، فأنكحها منه . ويقال : قاله ورقة بن نوفل . والذى قاله البرّد هو الصحيح لما رواه الطبرى عن جبير بن مطعم ، عن ابن عباس ، وعن عائشة . قال : إنّ عمرو بن أسد هو الذى أنكح ابنة أخيه خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن خويلداً هلك قبل ذلك .

وذكر الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذى كان يتجر معه فى مال خديجة : هلم - فلنتحدث عقد خديجة ، وكانت تكرمهما ، فلما قاما من عندها ، جاءته جويرية لها وقالت له : جئت خاطباً يا محمد ؟ قال : كلا . فقالت : ولم ؟ فوالله ما فى قريش امرأة وإن كانت خديجة - إلّا تراك كفواً لها . فرجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خاطباً لخديجة مُسْتَحْيِياً منها .

حب خديجة للنبي وتقديره لها :

لقد من الله على عباده المؤمنين بقوله سبحانه : « يحبهم ويحبونه ، والذين آمنوا أشد حبا لله ، لو اتفقت مافى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .
وقد شئت إرادة الله أن ينشأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نشأة كريمة طاهرة ، حتى عرف من حداثة سنه بالصدق والأمانة ، والبعد عن صنائر الأمور ، فاشتهر بالصادق الأمين . وقد سمعت خديجة وهى سيدة من نساء العرب به ، ورغبت فى أن يتجر بمالها فكان نعم التاجر الصدوق المؤمن ، وربحت التجارة كثيرا ، لما اتصف به عليه الصلاة والسلام من خلق عظيم ، وقلب رؤوف رحيم .

وكان يصحبه خادمها « ميسرة » . . . الذى شاهد مشاهد من طيب الخلال ، والصدق فى الأقوال ، والإخلاص فى الأعمال . وقصّ الخادم على سيده ذلك . ومن ثم آنت فى سيدنا محمد صفات كمال الرجال ، فعرضت عليه أن يتزوج بها ، فوافق شاكراً راضياً . ولقد كان يخطبها أكبر سادة العرب وجلة ساستهم فلم ترض بواحد منهم .

وكانت على جانب عالٍ من الساحة وجمال الخلق والخلق معاً ، وكان هو صلوات الله عليه وسلامه ، يبلغ الخامسة والعشرين ، وتسكبه بخمسة عشر ربيعاً . وصادف هذا الزواج المبارك ، بل حاله التوفيق واليمن ، فكانت نعم الزوجة الحبيبة الوفية الأمانة المخلصة .

وبينما كان يتحدث فى غار ثور ، نائياً عما كان عليه شباب العرب ، حان ظهور جبريل عليه السلام لأول مرة ، وقال له : اقرأ . فأجابه النبي : ما أنا بقارئ . فضمه إليه ثم أرسله ، وأعاد عليه أخرى . وفى الثالثة : نزلت السورة :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

وما لبث أن عاد النبي إلى زوجته يقول : « زملونى » وسرد عليها روايته ، فهذأت روعه بمد أن اختبرت حالته ، إذ خشيت عليه سوءاً فقالت : والله لن يخزيك الله أبداً .

إنَّكَ تصل الرحم ، وترحم الأراامل والأيتام ، وتؤوى الضعفاء والمساكين . ثمَّ رأت أخيراً أن تعرض أمره على ابن عمها ورقة بن نوفل ، الكاهن . . . فبشره بأن هذا هو الناموس الذي ينزل على أنبياء الله ورسله ، وسيكون له شأن عظيم !

ولقد عاشرت خديجة رسول الله قبل الرِّسالة خمسة عشر عاماً ، حتَّى بلغ الأربعين ، معاشرة كلّها الحب والوفاء . وعاش معها حياة العزة والكرامة والاطمئنان . وكم كانت ترفع من مكانته وهو الرّفع المسكّنة . فتقول : « كلُّ شيء ملك محمد ، ليس لي فيه شيء ، فهو صاحب الأمر والنهي » . ولبثت معه ثمانية وعشرين عاماً ، في أتمِّ وأكمل ما يتصوّر العقل الذكيّ واللبّ الحكيم . إلى أن اختارها الله لجواره ، ولحقت بالرفيق الأعلى .

ولقد كانت أوّل من آمن به من النساء ، وكم حَزِنَ عليها سيدنا محمد صلوات الله عليه حزناً شديداً ، حتّى ذكر عام وفاتها بعام الحزن . وما زال ، عليه الصلاة والسلام ، يذكرها بالخير والثناء بعد رحيلها ، ولم يتزوج عليها قطّ . فما إن كان يجلس مع عائشة الصّديقة بنت الصّديق وتذكر أن فلانة كانت حبيبة خديجة ، حتّى قال : أعطوها وأكرموها . فنارت عائشة قاتلةً : أولم أكن يارسل الله - أنا البكر - خيراً منها . فغضب وتغيّر وقال والله يا عائشة ، ما عاد لها من النساء أحدٌ ، لقد أمدتني فقيراً ، وأكرمتني معاشراً ، وملأت عليّ أركان حياتي أنسا وسودداً . قالت عائشة : وقد أقسمت بحقه وحبه ألاّ تذكرها إلاّ بخير .

خير متاع الدنيا المرأة الصالحة :

قال صلى الله عليه وسلم : « تَزَوَّجُوا الْوُدَّ الْوُدَّ مِنْ النِّسَاءِ ، فَإِنِّي مَكْثَرُ بَكْمِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وقال أيضاً : « الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة فقال : أبني امرأة . فقيل له : ما صِفَتُها ؟ قال : أريدها بكرّاً كَثِيباً ، أو ثِيْباً كَبِكر ، حلوة من قريب ، نخمة من بعيد ، كانت في نعمة وأصابتها حاجة ، ففيها أدب النعمة وذل الحاجة ، إذا اجتمعنا كُنّا أهل دنيا وإذا افترقنا كُنّا أهل آخرة .

السيدة سكينة بنت الحسين :

كانت سكينةُ بنتَ الحسين^(١) سيدةً نساء عصرها ، ومن أجل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً . وتزوجها مصعبُ بن الزُّبير - فأت عنها ، ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله ابن حكيم بن حزام ، فولدت له قريناً ، ثم تزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول . ثم تزوجها زيدُ بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها لعدم قدرته على الوفاء بما عاهدها عليه من ألا يُدْخِلَ معها غيرها من النساء ، فلم يَسْمَعْهُ إِلَّا الإِذْعَانُ لأمر سُلَيْمَانَ . ولاعتبار ضعف إرادته باتصاله بنيرها من الجوارى صارت طالقةً . فطلَّقَهَا ..

وقد قيل في ترتيب أزواجها غير هذا . وقيل أيضاً إِنَّ الطُّرَّةَ السُّكَيْنِيَّةَ منسوبة إليها . ولها نوادرٌ وحكاياتٌ ظريفةٌ مع الشعراء وغيرهم . من ذلك ما يُروى من أَنَّهَا ناظرتُ عُرْوَةَ بنَ أُوَيْنَةَ - من أعيان الملأ وكبار الصالحين ، وله أشعار رائقة ، فقالت له :

أنت القائل :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحَبِّ فِي كَبْدِي ذَهَبْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْمَاءِ أَتَبَرَّدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ يَبْرِدِ الْمَاءِ ظَاهِرِهِ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ؟

فقال لها : نعم - فقالت : وأنت القائل :

قَالَتْ وَأَبْنَتْهَا سَرَّى وَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تَحِبُّ السَّيْفَ فَاسْتَتِرِ
أَلَسْتُ تُبَصِّرُ مِنْ حَوْلِي ؟ فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكِ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصَرِي

والسيدة سكينة ابنة الإمام أبي عبد الله الحسين ، كانت أمها الرِّبَابُ بنتُ امرئ القيس الكلبيّة . وقد تزوجها عبد الله بن الحسن - وهو أبو عذرتها - فأت - ويقال قتل مع الحسين - فتزوجها مصعب بن الزُّبير فولدت له ابنة فأرسل إليها : سميتها زبراء ، قالت : اسميها باسم إحدى أمهاتي ، فسميتها خديجة أوفاطمة . فأت ابنتها من مصعب ورحل إلى المراق فقتل عنها .

وخطب سكينه عبد الملك بن مروان . فقالت أمها : والله لا أزوجه منه أبداً وقد قتل ابن أختي - تعني مصعباً - فتزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام - وأم عبد الله بن عثمان رملة ابنة الزبير بن العوام - فولدت له سكينه ابناً يقال له قرين ، وحكيماً ، وابنة . ويقال ابنتين . فمات عنها ، فتزوجها الأصبع بن عبد العزيز بن مروان فأصدقها صداقاً كثيراً . فقال عبد الملك : إنا تزوجنا أحسابنا فلم نفرق في الصداق ، طلقها . فطلقها ، فقال أيمن بن خريم :

نكحت سكينه في الحساب ثلاثة فإذا دخلت بها فانت الرابع
إن البقيع إذا تتابع زرعه خاب البقيع وخاب فيه الزارع

فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان - فأصدقها صداقاً كثيراً واشترطت عليه ألا يعصى لها أمراً ولا يغيرها ، ولا يمنعها شيئاً تريده ، ولا يمنع أحداً يدخل إليها ، وأن يقيمها حيث يرغبها ، فتزوجها على هذه الشروط ، فقال له سليمان بن عبد الملك : يا زيد بن عمرو ، إنك شرطت لسكينه ألا تطأ جارية ، وعندك أمثال المها . وأنا أعلم أنك لا تصبر ، وأنك قد وطئت بعضهن ، وشرطت لها شروطاً لا تستطيع الوفاء بها ، وقد حرمت عليك سكينه . فطلقها زيد ، فتزوجها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، فأبى أهلها أن يرضوا ، فخاصموه وتحاكموا إلى إبراهيم ابن هشام ، فقال له : انطلق فادخل على أهلك ، فإن حال بينك وبينها أحد فامنعه . وكان إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مرساً كثير الشر - لما أراد أن يتزوجها بعد أن مكثت حيناً بعد زيد لا تخطب - فقالت لها مولاتها : جعلت فداك ، لا أرى أهل المدينة يذكرئوننا . فأجابتها : أما والله لأجعلن لهم حديثاً . وأرسلت إلى إبراهيم فقالت له : كيف أنت إن تزوجتُك ؟ قال تجدينني خير الناس .

وكانت ظريفة عفيفة ، وأدبية فصيحة ، فوق ما امتازت به من إشراق الحياء ، وسماحة الخلق ، وملاحة الخلق . فقيل لها : ياسكينه ، أختك ناسكة وأنت مزاحة قالت : إنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة ، وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام ^(١) .

(١) أختها فاطمة بنت الحسين ، سميت باسم جدتها فاطمة الزهراء ، وسميت سكينه بنت الحسين باسم أمنة جدتها أم الرسول صلوات الله وأزكى سلامه عليه .

ولقد شَبَّ الفرزدق بها ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه والياً على المدينة فأخرجه منها ونفاه . فقال جرير في ذلك :

فَنَفَاكَ الْأَعْرُ ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِحَقِّكَ تُنْفَى مِنَ الْمَسْجِدِ

وطافت سَكينة بنت الحسين - رضى الله عنهما - فلما انتهت إلى الركن اليماني أُعِيَتْ في أوَّل طواف ، ونظر إليها العرجيُّ ، فقال :

يَقْعُدْنَ فِي التَّطَوَّافِ آوَنَةً وَيَطْفُنَّ أحياناً عَلَى فَرِّ

حَتَّى اسْتَلَمْنَ الرُّكْنَ فِي أَفْئٍ مِنْ لَيْلِهِنَّ يَطَّانَ فِي الْأَزْرِ

فَقَرَعْنَ فِي سَبْعٍ وَقَدْ جَهِدَتْ أَحْشَاؤُهُنَّ مَوَائِلَ الْخُمْرِ

فسمعت شعره امرأة ووصفته لها ، فحفظت الشعر ، وقالت : « لو أن الجلال طُفِنَ سَبْعاً لجهدت أحشأؤهن » .

وكانت سَكينة - رضى الله عنها - على جانب وافر من اللّلال الطَّيِّبة فوق ما امتازت به من كريم المحمّد ، ودماثة الطبع والجمال .

عاتكة بنت زيد :

كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، عند عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة . فأحبّها ، فكان ربّما ترك الصلاة جماعة بسبب مكثه معها ، لما اتصفت به من حسن الصورة وسماحة الخُلُق . وكانت عبلة الجسم ، مكثزة اللحم ، على قسط وافر من العلم والأدب ، والمعرفة بالشعر ، ممّا دعا عبد الله إلى الانشغال بها . فأمره أبو بكر رضى الله عنه بطلاقها قائلاً له : قد فتنتك عن دينك ، وشغلتك عن معشيتك ، فطلقها وقال :

وَلَمْ أَرْ مِثْلِي طَلَّقَ الْيَوْمَ مِثْلَهَا وَلَا مِثْلَهَا فِي غَيْرِ جَرَمٍ تَطَلَّقُ

لَهَا خُلُقٌ سَمِيحٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ وَخُلُقٌ سَوِيٌّ فِي الْحَيَاءِ وَمَصْدُقٌ

أَعَاتِكُ ، لَا أَنْسَاكِ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَمَا نَحَاقَ قَرِيئُ الْحَمَامِ الْمَطْوُوقُ

أَعَانِكَ لَا أَنْسَاكَ مَا حَجَّ رَاكِبٌ وَمَا لَاحَ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّقٌ
 أَعَانِكَ ، قَلْبِي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَيْكَ بِمَا تَخْفَى النُّفُوسُ مَعْلُوقٌ
 وَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللَّهِ فِي حَقِّ وَالِدٍ وَطَاعَتُهُ مَا كَانَ مِنَّا التَّفَرُّقُ
 فَبَلَغَ أَبَا بَكْرٍ شَعْرَهُ فَأَمَرَهُ فَرَاغَهَا ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى مَاتَ شَهِيداً ، أَصَابَهُ سَهْمٌ
 فِي حِصَارِ الطَّائِفِ فَانْتَقَضَ بِهِ جِرْحُهُ فَمَاتَ ، فَقَالَ لِمَاتِكَ حِينَ احْتَضَرْتَ : لَكَ حَقِيقَةٌ مِنْ مَالِي
 وَلَا تَزْوَجِي . فَقَبِلَتْ ذَلِكَ . وَقَالَ حِينَ رَاجَعَهَا :

أَعَانِكَ ، قَدْ طَلَقْتَ عَنِّي بُعْصَةً وَرَاجَعْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
 كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ عَلَى النَّاسِ فِيهِ أَلْفَةٌ وَتَبَايِنُ
 وَقَدْ كَانَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً وَقَلْبِي لِمَا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
 أَعَانِكَ إِنِّي لَا أَرَى فِيكَ سَقَطَةً وَإِنَّكَ قَدْ حَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَاسِنُ
 وَإِنَّكَ مِمَّا زَيْنَ اللَّهُ أَمْرَهُ وَلَيْسَ لِمَا قَدْ زَيْنَ اللَّهُ شَائِنُ
 فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَتَرَكَ سَبْعَةَ دَنَانِيرَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ أَلَّ اللَّهُ ، كَيْفَ يَصْبِرُ ابْنِي عَلَى سَبْعِ
 كَيْمَاتٍ ^(١) فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيهِ :

فُجِئْتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ، وَمَا كَانَ قَصَراً
 فَأَلَيْتُ لَا تَنْفَكَّ عَيْنِي سَخِينَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي أَغْبَرَا
 مَدَى الدَّهْرِ مَا غَنَّتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ وَمَا طَرَدَ اللَّيْلُ الصَّبَاحَ الْمُنُورَا
 فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَ وَأَحَى فِي الْجِهَادِ وَأَصْبَرَا
 إِذَا شَرَعْتَ فِيهِ الْأَسْنَةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَتَرَكَ الرُّمَحَ أَحْمَرَا

ثُمَّ مَا لَبِثْتُ أَنْ خَطَبَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ عَلَى نَفْسِي
 مَا لَا أَقْدِرُ مَعَهُ عَلَى التَّزْوِيجِ . فَقَالَ : اسْتَغْفِرِي ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَاسْتَفْتَمْتُهُ فَقَالَ
 رُدِّي عَلَيْهِمْ مَا أَخَذْتَهُ مِنْهُمْ وَتَزَوَّجِي . فَرَدَّتْ الْحَقِيقَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -

(١) یعنی بذلك جزاءه علی ما اکثر من الدنانیر « یوم یحیی علیها فی نار جهنم فتکوی بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما کثرتم لأنفسکم . . . »

فلما دخل بها أولم ، فدنا على رضى الله عنه من خدرها وقال :
فأليت لا تنفك عيني سخينة عليك ولا ينفك جلدى أغبرا
فبكت ، فقال عمر : ما أردت إلا أن تُفسد علينا أهلكنا .

ويقال : قال هذه المقالة عبد الرحمن بن أبي بكر . فلما قُتل عمر قالت :
وفجّعني فيروز لادرّ درّه بأبيض تالٍ للقران منيب
روؤفٍ على الأدنى غليظٍ على العدا أخی ثقة في النابات نجيب
متى ما يُقل لا يكذب القول فعله سريع إلى الخيرات غير قطوب
وقالت :

عين جودي بعبرة ونحيب لا تملى على الإمام النجيب
فجّعني المنون بالفراس المة دم يوم الهياج والتذيب^(١)
عصمة الناس والممين على الدهر ر وغيث المنتاب والمحروب
قل لأهل الضراء والبأس : موتوا قد سقته المنون كأس شعوب

فخطبها طلحة بن عبيد الله ، فشى في أمرها هبار بن الأسود ، فأفسد عليه ، فزوّجها
الزُّبَيْرُ بنُ العوّام ، فنهاها عن الخروج إلى المسجد ، فقالت : أُنْهاني عن الخروج إلى
الصلاة وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا إماء الله من مساجد الله » فأعرض عن
ذلك أياماً ، ثم قعد لها في طريقها ليلاً ، فلما مرّت به ضرب عَجِيزَتُها بيده . وكانت عظيمة
المعجزة جميلة - فرجعت إلى بيتها واسترجعت وقالت : سوءة إنّا لله . وتركت الخروج ،
فقال لها الزُّبَيْرُ : مالك تركت الصلاة في المسجد ؟ فقالت : قد فسّد الناس أبا عبد الله .
فقتل عنها ، فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة يوم اللقاء وكان غير معرّد
يا عمرو لو نهته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
شلت يمينك إن قتلت لمسلماً حات عليك عقوبة المتعمّد

ثم خطبها على بن أبي طالب رضى الله عنه فقالت : إِنِّي أَشْفَقُ عَلَيْكَ مِنَ الْقَتْلِ ،
لم أَتَزَوَّجْ رَجُلًا إِلَّا قُتِلَ ، فَتَزَوَّجْهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَخَرَجَتْ مَعَهُ إِلَى مِصْرَ ، فَقُتِلَ وَمِثْلَ بِهِ ،
فَقَالَتْ :

لَئِنْ تَقَتُّلُوا أَوْ تَمَثَّلُوا بِمُحَمَّدٍ فَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ وَلَا الْحَرِّ^(١)
فَتَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ .

وروى أن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - حدث مرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لَا تَتَمَنَّوْا النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ » فقال ابن له :
لَا تَدْعُهُنَّ يَخْرُجْنَ فَيَتَّخِذْنَ دَعَاً . فزجره وقال له : أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تقول : لَا تَدْعُهُنَّ ؟ !

وذكر أبو بكر الخرائطى رحمه الله فى كتاب « اعتلال القلوب » قال : كانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عند الزبير بن العوام رضى الله عنهما - فاستأذنته فى الخروج إلى المسجد ، فشقَّ عليه ذلك وكره أن يمنعها . فأذن لها ، ثم انكمن لها فى موضع مظلم من الطريق ، فلما مرَّت عليه وضع يده على بعض جسدها ، فكرَّرت راجعة وسبقها الزُّبير إلى الدار ، فلما دخلت عليه تُسَبِّحُ ، قال لها : ماردِّك عن وجهك ؟ قالت : كنا نخرج والناس ناسٌ ، وأمَّا اليوم فلا ، وتركت طلب المسجد .

زواج امرئ القيس :

نقل الجرجانى فى كتاب « الكنايات » عن كتاب « الأغاني » لأبى الفرج الأصبهاني ، أن عبد الملك بن عمير قال : آلى امرؤ القيس بن حجر ألا يتزوَّج امرأةً حتى يسألها عن « ثمانية وأربعة وائمين » فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنَّ عن هذا قلن : أربعة عشر . .
فبينما هو فى جوف الليل إذا هو برجل - معه ابنةٌ صغيرةٌ له كأنها البدر لمتة ، فأعجبته فقال لها :

(١) يقال : مثل به يمثِّل مثلاً ، مثل : قتل يقتل قتلاً ، ومثل به تمثِّلاً : إذا نكح به .

يا جارية ، ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ قالت : أمّا ثمانية فأطباء الكلبة ، وأمّا أربعة فأخلاف الناقة ، وأمّا اثنان فنديا المرأة . فخطبها من أبيها ، فزوجه إياها وشرطت هي عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فأجابها موافقاً ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس . ثمّ إنه أرسل عبده إلى المرأة فأهدى إليها نَحِيّاً من سمن ، ونَحِيّاً من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد في بعض المياه فنشر الحلة فلبسها ، ثمّ أتاها - وهي خلوفاً - فسألها عن أبيها وأُمّها وأخيها ، ودفع إليها هديتها . فقالت له : أعلم مولاك أن أبي ذهب يقرّب بعيداً ويبعد قريباً ، وأن أُمّي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخي يراعى الشمس ، وأن سماء كم انشقت ، وأن وعاء كم نضب . فقدِم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أمّا قولها ذهب يبعد قريباً ويقرّب بعيداً فإنّ أباهما ذهب يخالف على قومه ، وأمّا قولها ذهبت تشقّ النفس نفسين فإنّ أمّها ذهبت تقابل نفسها ، وأمّا قولها أخي يراعى الشمس فإنّ أخاها في سرح له يرعاه ، وأمّا قولها : إن سماء كم انشقت فإنّ البرد الذي بعثت به انشقت ، وقولها : إن وعاء كم نضب فإنّ النَحِيّين اللذين بعثت بهما نقصا . فاصدقني ، فقصّ عليه الغلام القصة .

ثمّ إن امرأ القيس ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه الغلام ، فقام الغلام يسقي الإبل ، فججز عنها ، فأعانه امرؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتّى أهل المرأة بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجها . فقيل لها : قد جاءك زوجك . فقالت : والله لأدري أزوجي أم لا ؟ . ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها . ففعلوا وأكل ، ثمّ قالت : اسقوه لبناً خائراً أى حامضاً - فشرب فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسألك فقال : سأليني عمّا شئت . فقالت : ممّ تختلج شفتاك ؟ فقال : لتقبلي إياك . قالت : فممّ يحتاج نخذاك ؟ فقال : لتوركي إياك . قالت : عليكم فسدّوه وثاقاً ، ففعلوا .

واجتاز قوم بامرئ القيس فأخرجوه من البئر ، فرجع إلى حيّه وساق مائة من الإبل ، وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زوجك فقالت : والله لا أدري أزوجي أم لا ؟ ولكن

انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذبها ففعلوا . فلما أتوه بذلك - قال : فأين الكبدُ
والسنامُ واللّحى ؟ ! وأبى أن يأكل . فقالت : اسقوه لبناً خائراً . فأتى به ، فأبى أن يشربه
وقال : أين الضريب والريية ؟ ! فقالت : افرشوا له عند الفرث والدم ، فأبى أن ينام . وقال :
افرشوا لى على القلعة الحمراء ، واضربوا عليها خباء . ثم أرسلت إليه : هلمَّ شرطتى عليك
فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها : أن سلى عمّا شئت . فأرسلت إليه : ممَّ تختلج شفتاك ؟
قال : لشرب الشّمشعات . قالت : فممَّ يختلجُ كَشْحَاك ؟ قال : للبسى المحبّرات . قالت :
فممَّ يختلجُ فخذاك ؟ قال : لركوبى المطهّمات . قالت : هذا زوجى لعمرى فعليكم به ، واقتلوا
العبد ، فقتلوه .

ودخل امرؤ القيس بالجارية التى أحبّها حين رآها ، فأعجب بجمالها ، وسألها ، فكان
جوابها شافياً .
وكانت بذكائها جديرة بأن تكون قرينة محبوبة له .

ولاء أم عقبة لابن عمها غسان :

كانت أمّ عقبة ، وهى امرأة من بنى يشكر - عند ابن عمّها لها يقال له : غسان ، ولما
شعر بدنو أجله أو قرب موته سألها عما تصنع بعده قائلاً :

أخبرى بالذى تريدن . بعدى والذى تضمرين يا أمّ عقبة
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصحبه
أم تريدن ذا جمال ومال ؟ وأنا فى التراب فى سجن غربة
فقالت : والله لا أجيبك بكذب ، ولأجعلنّه آخر حظى منك ، وأنشدته :

قد سمعت الذى تقول وما قد يا ابن عمى تخاف من أمّ عقبة
أنا من أحفظ الوداد وأرا هُ لما قد أوليت من حُسن صحبه
سوف أبكيك ما حييتُ بنوح ومراث أقولها أو بندبه

فلما سمعها أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن احتياطاً أخافُ غدر النساء
بعد موت الأزواج ياخير من عو فر ، فارعى لي حقَّ حُسْنِ الوفاء
إنني قدر جوت أن تحفظني العهـ د ، فكوني إذا متُّ عند الرجاء

زواج حاتم الطائي^(١) :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قال : أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، عن عمه ،
وأبو حاتم عن أبي عُبيدة . قال :

كانت امرأة من العرب ، ذات جمال وكمال وحسب مال ، قد آلت أن لا تزوج نفسها
إلا كريماً ، ولئن خطبها لئيم لتجدعنَّ أنهه ، فتحاماها الرجال ، حتَّى انتدب لها زيد
الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس بن حارثة بن لام الطائيون ، فارتحلوا إليها ، فلما دخلوا
عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ، فإلى الذي جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا زواراً وخطاباً .
قالت : أ كفاء كرام . فأنزلتهم ، وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القِرَى وزادت فيه .
فلما كان اليوم الثاني بمشت بعض جواربها متنكِّرة في زى سائلة ، تتعرَّض لهم ،
فدفع لها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كلِّ واحدٍ منهما ، فلما صارت إلى رَحْل حاتم دفع إليها
جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث ، دخلوا عليها فقالت : ليصف كلَّ واحدٍ منكم نفسه في شعره
فابتدأ زيد وأنشأ يقول :

هَلَّا سَأَلْتُ بَيْنِي نَبْهَانَ مَا حَسْبِي عند الطعانِ إذا ما احمَرَّتِ الحَدَقُ
وجاءت الخليل مُحَمَّرًا بَوَادِرُهَا بالماء يسفح عن لَبَّائِهَا المَلَقُ

والخيلُ تعلمُ أنى كنتُ فارسها والجارُ يعلمُ أنى الوابلُ الغدقُ
هذا الثناء ، فإن تَرْضَى فراضيةً أو تسخطى فإلى من تعطفُ العنقُ
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أنا أكرمُ أحساباً وأشهرُ أفعالاً من أن نصف
أنفسنا لك ، أما الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لامٍ ليَقْضَى حاجَتى فيمن قضاهَا
فأ وطىُّ الحصا مثل ابنِ سُعدى ولا لبسُ النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عُمِّتْ عقيقته فأعتقت عن كل شعرة منها نسمة ، وأنشأ يقول :

فإن تنكحى ماوية الخير حاتماً فما مثلهُ فينا ولا فى الأعاجم
فتى لا يزال الدهر أكبرَ همِّه فكأنَّ أسير أو معونة غارم
وإن تنكحى زيدا ففارس قومه إذا الحربُ يوماً أقعدتْ كلَّ قائمٍ
وإن تنكحى بنى تنكحى غير فاجرٍ ولا جارفٍ جرفَ العشيرة هادمٍ
ولا متقى يوماً إذا الحربُ سمرتُ بأنفسها تقسى كفعل الأشياءِ
وإن طارقُ الأضيافِ لآذَ برحله وجدتِ ابنِ سُعدى للقرى غير عاتمٍ^(١)
فأنى هُدى أهدى لك الله فأقبلي فإننا كرام من رؤوس الأكارمِ
وأنشأ حاتم يقول :

أماوىَّ قد طال التجنبُ والهجرُ وقد عذرتنى فى طلابكم العذرُ
أماوىَّ إما مانعٌ فمبينٌ وإما عطاءٌ لا يُنهنههُ الزجرُ
أماوىَّ ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ
وقد علم الأقوامُ لو أنَّ حاتمًا أراد ثراء المال كان له وفرُّ

إلى أن أتى على القصيدة ، وهى مشهورة . فقالت : أما أنت يا زيد ، فقد وترت العرب ،
وبقاؤك مع الحرّة قليل . وأما أنت يا أوس ، فرجل ذو ضرائر ، والصبر عليهنّ شديد .
وأما أنت يا حاتم ، فمَرْضَى الخلائق ، محمود الشيم . كريم النفس ، قد زوجتْك نفسى !

(١) أى : غير مبطىء .

حبّ سحيم لعائشة بنت طلحة :

قال أبو الحسن على المدائني :

تزوَّج سحيم بن حفص - بعائشة ابنة طلحة عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهو أبو عذرتها فولدت له أولاداً ، منهم طلحة الذي يقول له الشاعر :

أَيَا طَلَحَ إِن كُنْتَ أُعْطِيتَنِي جُمَالِيَّةً تَسْتَخِفُّ الضَّفَارَا
فَاكُنْ تَفْعَكَ لِي مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَكِنْ مَرَارَا
أَبُوكَ الَّذِي بَايَعَ الْمُصْطَفَى وَسَارَ مَعَ الْمُهْتَدَى حَيْثُ سَارَا

وقال أيضاً عن سحيم : صارمت عائشة زوجها ، وكان في خُلُقها زعارة ، وكان يلقى منها البلاء ، فقليل له : طلقها ، فقال :

وإِنِّ فَرَاقِي أَهْلَ بَيْتِ أَوْدُهُمْ لَهْمُ زُلْفَةٍ عِنْدِي لِإِحْدَى الْعِظَائِمِ
فَكَيْفَ بَصَفُوا الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِ بَيْنِهِمْ وَسُخْطُهُمْ يَوْمًا . . . عَنِ الْأَنْفِ خَاطِمِي
وخطبها مصعب بن الزبير فقالت : إِن تَزَوَّجْتُهُ فَهُوَ عَلَى كَظْهِرِ أُمِّي . ثم سألت أهل المدينة فقالوا : اعتق رقبةً وتزوَّج به . فتزوَّجها فأصدقها خمسمائة ألف ، وأهدى لها خمسمائة ألف . فقال أنسُ بن أبي أنس بن زنيم :

تَعْطَى الْفَتَاةُ بِأَلْفِ أَلْفٍ كَامِلٍ وَتَبِيتِ سَادَاتُ الْجَنُودِ جِيَاعَا
لَوْ فِي أَبِي حَفْصٍ أَقُولُ مُقَاتَلِي وَأَبْنُهُ مَا قَدْ أَرَى لَارْتَاعَا
فبلغ الشعرُ عبد الله بن الزبير فقال : إِنَّ مُصْعَبًا قَدِمَ خَيْرُهُ .

وقال أبو الحسن عن الشعبي : كَانَ يَجَالِسُنَا أَيَّامَ الْفَتَنِ رَجُلٌ فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ ؟
قَالَ : مُوَلَّى عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ ، خَطَبَهَا مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَتَزَوَّجَهَا فَأَحْبَبَهَا ، وَكَانَتْ
امْرَأَةً جَمِيلَةً فِي أُذُنِهَا عِظْمٌ ، وَفِي سَاقِهَا حُمُوشَةٌ ^(١) . وقال قوم : فِي قَدَمِهَا عِظْمٌ .

(١) الحموشة : الدقة .

ورؤى عن الشعبي أنه قال : أخذ بيدي معصب ، فمضى وأنا معه حتى دخل منزله وبده في يدي ، فرفع سترًا فإذا عائشة ، وإذا هي أحسن الناس وجهًا ، فأعرضت وخلاني ودخل ، فرجعت . ثم رحتُ إليه بالعشي وهو جالس ، فأشار إلي بيده وقال : رأيت ذاك الإنسان ؟ قلت : نعم . فقال : أفرأيت مثله ؟ فقلت : لا . قال : تلك ليلى التي يقول فيها الشاعر :

ومازلتُ من ليلى لذن طرّشاربي إلى اليوم أخفي حبّها فأباين^(١)
وأحملُ في ليلى لقلبي ضغينةً وتُحملُ في ليلى على الضغائنُ

ياشعبي : رأيت عائشة وما يدلك إذ رأيتها من صلة ، ثم قال لا بن أبي فروة : أعط الشعبي عشرة آلاف درهم وعشرين ثوبًا . فقتل عنها مصعب . وأنبأ الحسن قال : قال سلم بن قتيبة : رأيت عائشة بنت طلحة بمكة في المسجد ، فسلمت عليها وانتسبت لها ، فبكت وقالت : يرحم الله مصعب ، ثم أرادت النهوض ، فأخذت امرأتان بيديها - وعندها نسوة . فاعتمدت على المرأتين ، فما كادت أن تستقل حتى خذلها وركها ، فقالت إحدى المرأتين : إنّا بك لتعبات ، وكانت مديدة الجسم ، مكنتزة اللحم ، على نصيب وافر من حسن الصورة وإشرافها .

الثريا وعمر بن أبي ربيعة^(٢) :

حدثنا الزبير بن بكار ، عن مسلمة المخزومي عن أيوب : أن عمر بن أبي ربيعة كان متعلقًا بالثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر . وكانت أهل ذلك جمالًا وتمامًا ، وكانت تصيف بالطائف . وكان عمر يندو عليها على فرسه ، فيسأل الرّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار ، فلقي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ، فقال : ما استطرفنا خبرًا ، إلا أنني سمعت عند رحيلنا صوتًا وصياحًا عاليًا على امرأة من قريش نسيت اسمها ، ولعله نجم في السماء . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم .

(١) البتان لكثير عزة كما في الأغاني (٢ : ١٣٢) وروايته : « وأداجن » .

(٢) في الأغاني ج ١ .

وكان عمر قبل ذلك قد بلنه أنها عليه ، فوجه فرسه إلى الطائف يركضه ، وسلك أخشن الطرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقعتة وهي تتشوف له فوجدها سليمة ومعها أختاها : رضا وأم عثمان ، فأخبرها الخبر فضحكت وقالت : أنا أمرتهم لأختبر مالى عندك فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تَشْكِي الكُمَيْتُ الجُرَى لما جَهِدْتُهُ وَيَيْنَ لو يَسْطِيعُ أن يَتَكَلَّمَ
فَقَاتَ له : إن أَلَقَ للعَيْنِ قَرَّةً فَهَانَ عَلَى أن تَكَلَّ وتَسَامَا
لذلك أدنى دون خلى رباطه وَأوصى به ألا يهَانَ ويَكْرَمَا
عَدِمْتَ إِذْنِ وفَرَى وفَارَقْتَ مَهْجَتِي لَنْ لَمْ أَقُلْ قَرْنًا إنِ اللهُ سَلَمَا

فقال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلت لأيوب بن مَسْلَمَةَ : أكانت الثريا كما يصف عمر ابن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوق الصفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قيس :

حَبْذا الْحَجُّ والثريا ومن بالَا خِيفَ من أَهْلِهَا وَمَانِقِ الرِّجَالِ
يَاسْلِيَانِ إن تَلَاقَ الثريا تَلَقَّ عَيْشَ الخُلُودِ قَبْلَ الْهَلَالِ
دُرَّةٌ من عَقَائِلِ الْبَحْرِ بَكَرَ لَمْ يَشْنَاهَا مُثَاقِبٌ لِلآلِ
تَعْقِدُ الْمُتَرَّ السَّخَامَ من الْحَرِّ عَلَى حِقْوِ بَادِنٍ مَكْسَالِ

وحدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنا محمد بن يحيى قال : زعم عبيد بن يعلى - قال حدثني كُثَيْبُ بن كُثَيْبِ السَّهْمِيِّ قال : لما ماتت الثريا ، أتاني الغريض فقال لى : قل أبيات شعر أنح فيها على الثريا ؟ فقلت :

ألا يَاعِينِ مَالِكٍ تَدْمَعِينَا أَمِنْ رَمْدٍ بِكَيْتٍ فَتَكْحَلِينَا ؟
أَمْ أَنْتِ حَزِينَةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا فَشَجْوُكَ مِثْلُهُ أَبْكِي الْعِيُونَا !

أبو الأسود الدؤلى وامرأته وابنها :

قال صاحب « سناء المهتدى » .

تنازع أبو الأسود الدؤلى وامرأته فى ابن لهما ، وترافعا إلى زياد - وأراد كلّ أخذه ، فقالت المرأة : أصلح الله الأمير ، هذا ابنى ، كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه ، وثدى سقاه ، أكلؤه إذا نام ، وأحفظه إذا قام ، فلم أزل بذلك سبعة أعوام ، حتى استوفى فصاله ، وكلتُ خصاله ، واستوكتُ أوصاله ، وأملتُ نفعه ، ورجوتُ دفعه ، أراد أن يأخذ منى كرها ، فأنصفتنى فقد أراد قهرى ، وحاول قسرى .

فقال أبو الأسود : حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه ، وأنا أقوم عليه فى أدبه ، وأنظر فى تقويم أوده ، وأمنحه على ، وألهمه حلمى ، حتى يكمل عقله ، ويستكمل نبّله .

فقالت المرأة : صدق أصلحك الله . حمله خفّا ، وحملته ثقلا ، ووضعته شهوة ، ووضعته كرها .

فقال زياد : ارددّ على المرأة ولدّها فهى أحقُّ به منك ، ودعنا من سجعك .

* * *

المجرد والمرأة التى تبعها :

قال ابن وهب : تبعْتُ جارية إلى منزلها ، طامعاً فيها . فسقتنى نبذاً وغنت على عودها بصوتٍ ما سمعتُ أعذبَ منه ، ولا أنفدَ إلى القلب :

كأننى بالمجردِ قد علتُهُ . . . نعالُ القومِ أو خُشبُ السّواري
فقلتُ لها : جُعِلْتُ فداءك ، لم أفهم هذا الشعر ولا أحسبه ممّا يُفنى به . قالت : أنا أولُ من تفنّى به ، وإنما هو بيتٌ لا يدرى قائله ومعه بيتٌ آخر .

قلتُ : سُرِّيَ بَأَن تَفَنِّيَهُ لَعَلِّي أَفْهَمُ . قالت : ليس هذا وقته ، هو آخر ما أتفنى به .
قال : وجعلتُ لأنازعُها شيئاً إجلالاً لها وإعظاماً ، فلما أمسيتُ وجاءت العشاء الأخيرة ،
وضعتُ عودَها ، فقمْتُ فصلَّيتُ وما أدري كم صلَّيتُ عَجَّةً وتَشَوُّفاً . فلما سلمتُ ، قلتُ :
تأذنين لي جُعلتُ فداءك في الدنوّ مِنكَ ؟

قلتُ : هذا لك ، ولكن بعد أن يتجرّد كلُّ مِنّا . ثمّ ذهبتُ كأنها تريد أن تخلع ثيابها ،
فكدتُ أن أشقّ ثيابي من العجلة للخروج منها ، ولما قت بين يديها متجرّداً . قالت :
انتبه إلى زاوية البيت ، وأقبل إلى مقبلاً ومدبراً . قال : وبينما أنا في طريقى إلى الزاوية ، أردتُ
اجتياز حصر في الترفة ، فأكدتُ أن أستقرّ فوقه حتّى هبط بي في خرّق تحتّه ، وإذا أنا
في السوق مجرّداً ، وإذا شيخان هناك قد كُنا في ناحية ، وأعدّا نعالهما . فلمّا هبطت عليهما
بادراني فقطماً نعالهما على قفّاي ، وجاء أهلُ السوق ، فشاركوهم في ضربى حتّى أنسيتُ اسمى
وبينما أنا أخبطُ بنعالٍ مَخْصُوفَةٍ ، وأيدٍ ثَقَالٍ ، وخُشْبٍ دِقَاقٍ ، إذا صوتٌ من فوق البيت
يفتنى :

كأنى بالجرّد قد علته نعالُ القوم أو خُشْبُ السوّارى
ولو عِلِمَ الجرّد ما أردنا لبادرنا الجرّد في الصحارى

الشعراء العشاق

جميل بثينة^(١) :

إنَّه لَمَعْلُومٌ أَنَّ بُثَيْنَةَ محبوبة جميل قائد الشعر، وقد نسب بعض الشعراء بنساء مخصوصة، واشتهر كلّ واحد منهم بمن تنزل بها، فاشتهر جميل ببثينة، واشتهر كثير بعزة، وعروة ابن حزام بعفراء، وقيس مجنون بنى عامر بليلي، وقيس بن ذريح بلبنى، والمرقس بفاطمة، وذو الرمة بميّة وهي الخرقاء، والعبّاس بن الأحنف بفوز.

وبعض الشعراء لا يلتزم التنزّل بامرأة مخصوصة كما مرى القيس .
وبُثَيْنَةُ مصغرٌ . بثْنَةٌ - قال صاحب الصحاح : البُثْنَةُ - بالتسكين : الأرض اللينة ،
وبتصغيرها سمّيت : بُثَيْنَةً .

أمّا قصة جميل بن معمر العذرى ، فقد روى صاحب « الأغاني » بسنده ، قال :
اجتمع جميل مع جماعة من رهبه يتحدّثون . فقال بعضهم : بالله حدّثنا بأعجب يوم لك مع
بثينة . قال : نعم . مُنِعْتُ من لقاءى مدّة ، وتعرّضت لها جهدى فلم أصل إليها ، فبينما أنا ذات
ليلة جالس بين شجرات بالقرب من حيفا ، وقد أقيتُ ثلاثاً أنتظرها ، إذا شخص قد أقبل
إلىّ ، فجلست وانتضيت سيقى ، فلم ألبث أن غشيتى الشخص ، فإذا هى بثينة قد أكتبت
علىّ . فأدهشنى ذلك ، وبقيت متحيراً لا أحيّر جواباً إليها ، ولا أراجمها كلمة حتى برق الصبح ،
وما استطعت أن أكلمها .

قالوا : فهل قلت فى ذلك شيئاً ؟ فأنشدهم قصيدة طويلة ..

وهذه أبيات من أولها :

أهاجَكَ أم لا بالتناضب مَرَبْعُ ورسمٌ بأحراج النديرين ، بَلَقْعُ

ديارُ الليلِ (١) . . إذْ نُحِلُّ بها مَما
 فياربَ حَبِيبِي إِلِها ، وَأَعْطَى الـ
 وإلا . . فَصَبَّرَنِي وَإِنْ كُنْتُ كَارِهاً
 فَإِنْ يَكْ قَدْ شَطْتُ نَوَها وَقَدْ نَأَتْ
 جَزَعْتُ غَدَاةَ الْبَيْنِ لِمَا تَحَمَّلُوا
 وَمَا كَانَ مِثْلِي يَا بَثِينَةَ يُجْزَعُ
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا يَوْمَ بَأْنُوا بِنَظَرَةٍ
 وَهَلْ عَاشِقٌ مِنْ نَظَرَةٍ يَتَمَتَّعُ؟

وروى صاحب الأغاني عن الهيثم أن جيلاً طال مقامه بالشام ، ثم قدم وبلغ بثينة خبره . فراسلته مع بعض نساء الحى ، تذكر شوقها إليه ، ووجدتها به ، وواعدته لموضع يلتقيان فيه ، فنصار إليها ، وحادثها طويلاً ، وأخبرها بحاله بعدها .

قال : وقد كان أهلها رصدوها ، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هما عليها ، فوثب جميل فسل سيفه وشدّ عليهما ، فاتقياهما بالهرب . وناشدته بثينة بالانصراف وقالت : إن أقت فضحتنى ، ولعل الحى أن يلحقوك ، فأبى وقال : أنا مقيم ، وامضى أنت وليفنموا ما أحبوا . فلم تزل تناشده حتى انصرف . وقد هجرته مدةً طويلةً ولم تلقه ، فقال هذه الأبيات الستة :

بمخْتَلِفِ الأرواحِ بَيْنَ سُوَيْقَةٍ (٢) وَأُحْدَبٍ (٣) كَادَتْ بَعْدَ عَهْدِكَ تَخْلُقُ (٤)
 أَضْرَتْ بِهَا النَكْبَاءُ (٥) كُلَّ عَشِيَّةٍ وَنَفَحُ الصَّبَا (٦) وَالْوَابِلُ (٧) الْمُتَبَعُّ (٨)
 وَقَفْتُ بِهَا حَتَّى تَحَلَّتْ عِمَامَتِي (٩) وَمَلَّ الْوَقُوفُ الْأَرْحَى (١٠) النَّوُوقُ (١١)

(١) لا يخفى أن جيلاً ينسب لبثينة . ولما ذكرها باسم ليلي جرياً على عادة الشعراء فى إخفاء أسماء معشوقاتهم أحياناً .

(٢) سويقة وأحدب : موضعان . (٣) تخلق : تبلى ، يقال خلق الثوب وأخلق .
 (٤) النكباء : كل ريح تهب بين مهب ريحين لأنها نكبت عن مهبها أى : عدلت .
 (٥) نفح الصبا : النسيم العليل . (٦) الوابل : المطر العظيم . (٧) المتبعي : المطر العظيم .
 (٨) عمامتي : بفتح العين من العماية ، هى من عى القلب . (٩) الأرحى : الجبل النجيب منسوب إلى أرحب وهى قبيلة ، وقيل لخل ، وقيل موضع . (١٠) اللنوق : المذلل كالناقة .

وقال خليلي : إِنَّ ذَا لَصَبَابَةٍ
تَعَزَّوْا إِن كَانَتْ عَلَيْكُمْ كَرِيمَةٌ
أَلَا تَرَجِرُ الْقُلُوبَ الْجُوجَ فَيَلْحَقُ
لَمَلَّكَ مِنْ أَسْبَابٍ (١) بَنَّةٌ تُعْتَقُ
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْبُعَادَ يَشُوقُنِي
وَبَعْضُ بَعَادِ الْبَيْنِ وَالنَّأْيِ أَشْوَقُ

كثير عزة :

من «بلاغات النساء» (٢) ما حدثني الزبير بن بكار ، قال : حدثني سليمان بن عباس السَّعْدِيُّ قَالَ : كَانَ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَأْتِي مِنْ يَحْجُجُ مِنْ قَرِيشٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِهَدِيَّةٍ ، فَفَعَلَ سَنَةَ عَنْهُمْ ، حَتَّى أَصْبَحَ يَوْمًا فَرَكِبَ مِنْ مَنْزِلِهِ بِكَلْبَةٍ جَمَلًا ، وَاسْتَقْبَلَ الشَّمْسُ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، فَلَمْ يَأْتِ قَدِيدًا حَتَّى احْتَرَقَ وَضَجَرَ وَجَاءَ وَقَدْ رَاحَ النَّاسُ ، إِلَّا فَتًى مِنْ قَرِيشٍ تَخَلَّفَ وَمَعَهُ رَاحِلَةٌ لَهُ ، عَلَى أَنْ يَلْحَقَ بِهِمْ .

قال الفتى القرشي : فَإِنِّي لَجَالِسٌ إِذَا أَقْبَلَ كَثِيرٌ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي وَلَمْ يُسَلِّمْ . ثُمَّ جَاءَتْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ وَسِيمَةٌ ، فَاسْتَنْدَتْ إِلَى خِيَمَةٍ مِنْ خِيَامِ قَدِيدٍ ؛ ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَنْتَ كَثِيرُ بْنُ أَبِي جَمْعَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ أَجْلُلَنَّ مَجْلِسِي وَأَعْرَضَنَّ عَنِّي هَيْبَةً لَا تَجْهَمَانِ

قال : نَعَمْ . فَتَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ مَبْتَسِمَةً وَقَالَتْ : أَعْلَى مِثْلَ هَذَا الْوَجْهِ هَيْبَةٌ ؟ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .

فَقَالَ لَهَا : كَثِيرٌ : مَنْ أَنْتَ ؟ وَاحْتَدَّ عَلَيْهَا وَهِيَ سَاكِتَةٌ . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ أَعْلِمُ مِنْ أَنْتَ لَقَطَعْتُكَ وَقَطَعْتُ قَوْمَكَ هَجَاءً . فَلَمَّا سَكَنَ ، قَالَتْ لَهُ : أَأَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

مَتَى تَنْشُرُوا عَنِّي الْعِمَامَةَ تُبْصِرُوا جَمِيلَ الْحَيَاةِ أَغْفَاتُهُ الدَّوَاهِنُ ؟

أَنْتَ جَمِيلُ الْحَيَاةِ ؟ ! إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ :

(١) وقوله : لَمَلَّكَ مِنْ أَسْبَابٍ بَنَّةٌ . رَوَى بِدَلِهِ : لَمَلَّكَ مِنْ رِقِّ لَبَنَةٍ . . .

(٢) فِي إِمْرَاشَادِ الْأَدِيبِ ص ١٣٧ .

فضجر كثير ، وسكت عنه حتى سكن . ثم قالت : أنت الذى يقول :
 يروق العيون الناظرات كأنه هرقلى وزنٍ أحمر التبرِ وازنُ
 أهذا الوجه يروق العيون ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .
 فازداد خجراً وقال : قد أعلم من أنت ، ولأقطعنك وقومك ، وقام . فالتفت فإذا هى قد ذهبت .
 قال القرشى : فلما كان منصرفي من قديد ، سألت مولاة هناك عن تلك المرأة وقلت لها :
 لك على إن أخبرتنى من هى أن أطوى لك ثوبي هذين إذا قضيت إحرامى وآتيك بهما -
 فأدفعهما إليك . قالت : والله لو أعطيتني وزنهما ذهباً ما أخبرتك من هى . هذا كثير -
 وهو مولاى - قد آيت أن أخبره من هى .
 قال القرشى : فرحت وبى أشد مما بكثيرٍ !

عمر بن أبي ربيعة :

كان عمر بن أبي ربيعة^(١) معروفاً بشغفه حباً فى النساء ، وعشقاً لمحاسنهن ، والشبيب
 بمن يهواها ، وهذه أبيات له :

وكادت توالى نجمه تتفوّر	فلما تقضى الليل إلا أقله
هبوب ولكن موعدك عزور	أشارت بأن الحى قد حان منهم
وأيقاظهم قالت : أشركيف تأمر ؟	فلما رأت من قد تنبه منهم
وإما ينال السيف ثأراً فيثأر	فقات : أباديهم فيما أفرسهم
علينا ، وتصديقا لما كان يؤثّر	فقات : أتحيقاً لما قال كاشح
من الأمر أدنى للخفاء وأستر	فإن كان مالا بُد منه فغيره
ومالى من أن تعلم متأخراً	أقص على أختي بدء حديثها

(١) فى خزنة الأدب ج ٣ .

لَعَلَّهُمَا أَنْ تَبْنِيَا لَكَ مَخْرَجًا وَأَنْ تَرْحَبَا صَدْرًا بِمَا كُنْتَ أَحْصَرُ
فَقَالَتْ لِأَخْتَيْهَا : أَعَيْنَا عَلَى فَتَى أَتَى زَائِرًا وَالْأَمْرَ لِلْأَمْرِ يُقَدِّرُ
فَأَقْبَلْنَا ، فَارْتَاعَتَا . . ثُمَّ قَالَتَا : أَقْبَلِي عَلَيْكِ اللُّومَ فَالْخُطْبُ أَيْسَرُ
يَقُومُ فِيمَشَى بَيْنَنَا مَتَنَكِرًا فَلَا سِرُّنَا يَفْشُو وَلَا هُوَ يُبْصَرُ
فَكَانَ مَجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتَ أَتَقَى ثَلَاثُ شَخْصٍ : كَاعْبَانٍ وَمَعْصَرُ

من شعر أمية بن الصلت في الغزل :

قال أمية بن أبي الصلت من قصيدة له من « الطويل » :

أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى وَأَذَنْ أَصْحَابِي غَدَاً يَقُولِ
تَبَدَّتْ لَهُ لَيْلَى لِيَذْهَبَ عَقْلُهُ وَشَاقَتْكَ أُمُّ الصَّلْتِ بَعْدَ ذُهُولِ
أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا وَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
إِذَا ذُكِرْتَ لَيْلَى تَغَشَّتْكَ عَبْرَةٌ تَعْلَبُ بِهَا الْعَيْنَانِ بَعْدَ نُهُولِ
وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَالَ لِي : هَلْ سَأَلْتَهَا ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، لَيْلَى أَضَلُّ خَلِيلِ
وَأَبْعَدُهُ لَيْلَا ، وَأَوْشَكُهُ قَلَى وَإِنْ سُئِلْتُ عُرْفًا فَشَرُّ مَسْئُولِ
لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَا بُوْحْتُ عَنْهُمْ بَلِيلَى ، وَلَا أُرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ
فَإِنْ حَاوَلَ الْوَاشُونَ عَنِّي بِكَذِبَةٍ فَرَوْهَا ، وَلَمْ يَأْتُوا لَهَا بِحَوِيلِ
فَلَا تَعْجَلِي يَا لَيْلَى أَنْ تَفْهَمِي بِنُصْحِ أَتَى الْوَاشُونَ أَمْ بِحُبُولِ
فَإِنْ تَبَدَّلِي لِي مِنْكَ يَوْمًا مَوْدَةً فَقَدِمًا تَخَذْتُ الْفَرَضَ عِنْدَ بَدُولِ
وَإِنْ تَبَخَّلِي يَا لَيْلَى عَنِّي فَإِنِّي تَوَكَّلْنِي نَفْسِي بِكُلِّ بَخِيلِ
وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ خَلِيلِي بِنَائِلِ قَلِيلِ ، وَلَا أَرْضَى لَهُ بِقَلِيلِ

وليس خليلي بالملول ، ولا الذي
ولكن خليلي من يديهم وصاله
ولم أر من كيلي نوالاً أعدّه
يلومك في كيلي وعقلك عندها
يقولون : ودّع عنك كيلي ولاتهم
فما انتفعت نفسي بما أمرؤا به
وقالوا : نأت فاختر من الصبر والبكا
توليت محزوناً وقلت لصاحبي :
لقد أكثر الواشون فينا وفيكم
وما زلت من كيلي لدن طرّ شاربني

إذا غبتُ عنه باعنى بخليل
ويحفظُ سرّي عند كلّ دخيل
ألا ربّما طالبت غير منيل
رجالٌ ، ولم تذهب لهم بعقول
بقاطعة الأقران ذات خليل
ولا عجتُ من أقوالهم يفتيل
فقلت : البكا أشقى إذن للليل
أقاتلتني كيلي بنير قتيل ؟ !
ومال بنا الواشون كلّ ميل
إلى اليوم كالمقصى بكلّ سيل

حب امرئ القيس :

من بين جبال اليمن السعيدة وقد اشتهرت بخصب أرضها - جبل يقال له : ضارج . . .
وهو جبل معروف يعلو سفحه نبات أخضر يسمى « العرمض » ويعلو الماء فيه مكان مرتفع
يقال له « طامي » ويقال له أيضاً : ثور الماء ، لتفجّر ثورانه من بين صخور وأحجار .
وقد ذكر البكري أنّ ركبا من اليمن خرجوا يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأصابهم ظمأ شديد كاد يقطع أعناقهم ، فلما أتوا « ضارجاً » وهو ذلك الجبل الذي
يقع عليه الظلّ وارفاً جميلاً من نبات العرمض ، بخضرته اليانعة ورأحتهم الطيبة . . . ذكر
أحدهم قول امرئ القيس :

ولما رأت أنّ الشريعة همها وأنّ البياض من قرائضها دامي
تيممت العين^(١) التي عند « ضارج » يقف عليه الظلّ عرْمُضُها طامي^(٢)
وإنّه نجبر عجيب - سقناه - على أثر من آثار الطبيعة التي أبدع الله صنعها .

(١) إشارة إلى الماء . (٢) الطامي : المرتفع الذي يعلو نباته الماء .

ذو الرّمة وميّة :

اشتهر ذو الرّمة بحبّ خرقاء ، ولُقِّبَتْ : مِيّة . ومما يؤثّر عنه أنّه يخاطب نفسه -
في قصيدة طويلة كلّها غزلٌ ونسيبٌ فيقول :

إذا قلت ودّع وصل خرقاء واجتنب زيارتها تخلقُ حبال الوسائل
وأهله ودِّ فد تَبَرِّتُ ودَّهم وأبليتهم في الحمد جَهْدِي ونائلِ

توبة وليلى الأخيلية :

أخبرنا أبو الحسن علي بن سليمان ، وأبو إسحاق الزجاج ، عن أبي العباس محمد
ابن يزيد المبرّد . قال ثبتت الروايات والأخبار أنّ « ليلي الأخيلية^(١) » لم تكن امرأة
توبة بن الحمير ولا أخته ، ولا كان بينهما نسب شابك ، إلّا أنّهما كانا
جميعاً من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان يحبها وتحمّبه ،
فأقاما على حبّ عفيفٍ دهرًا ، وتلك هي السّنةُ في عشاق بني عذرة وغيرهم ، إلى أن قتل
توبة . وكان سبب قتله أنّه كان يطلبه بنو عوف - فأحسّوا قدومه من سفره ، فأتوه طروقًا ،
وبينه وبين الحيّ مسيرة ليلة ، ومعه أخوه « عبد الله ، ومولاه قابض » فهربا وأسلماه ،
ففي ذلك تقول « ليلي » :

دعَا قابضًا والمرهفات تنوَّشُهُ فَقَحَّجْتَ مدعواً ، ولُبَّيت داعياً
فيا لَيْتَ عبد الله حلَّ مكانهُ فأودَى ، ولم أسمع لتوبة ناعياً

ومن جيّد ما تَرثِيه به قولها :

فأقسمت ، أبكى بعد توبة هالِكًا وَأَحْفَلْ مَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَاثِرُ
لِعَمْرُكَ ما بالموت عَارٌّ عَلَى الْفَتَى إِذَا لم تصبه في الحياة الْمَغَايِرُ
فلا الحى ممّا يُحدث الدهر سالمٌ ولا الميتُ إن لم يصبر الحى نائسُ

(١) في أمالي أبي القاسم الزجاجي ص ٥٠ .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بلى وكلَّ امرئٍ يوماً إلى الله صائرُ
فلا يُبعدنك اللهُ توبةَ هالكٍ أخوا الحرب إذ دارت عليه الدوائرُ
وأقسمت لا أنفك أبكيك مادعتُ على غصن ورقاه أو طار طائرُ
قتيلُ بني عوفٍ فيالهفتا له وما كنت إياهم عليه أحاذرُ

قال أبو القاسم رحمه الله : قولها : « أقسمت أبكى بعد توبة هالكاً » أى : لا أبكى بعد توبة هالكاً . والمرب تضرر « لا » فى القسم مع المعنى - لأنَّ الفرق بينهُ وبين الموجب قد وقع بلزوم الموجب اللام والنون - كقولك والله لأخرجن ، وقال الله عز وجل : « قاله تفتأ تذكر يوسف » أى : لا تفتأ تذكر يوسف . وقولها : « ولا الميت إن لم يصبر الحى ناسر » يقال : نشر الله الموتى فنشروا - أى . أحياهم فحيوا .

قال الشاعر :

لو أسندتُ ميتاً إلى نحرها عاشَ ولمْ ينقل إلى القابرِ
حتى يقول الناس ممّا رأوا يا عجباً للميتِ النَّاسِرِ

ومن أغرب ما رُوِيَ فى (الصّدَى) ما رواه أبو على من أن لَيْلَى الأَخِيلِيَّةَ مَرَّتْ مع زوجها فى بعض نَجْعهم بالموضع الذى فيه قبر توبة ، وكانت متزوجة فى بنى الألكح بن عبادة ابن عقيل . فقال لها زوجها : لا بد أن أعرج بك إلى قبر توبة كي تسلمى عليه حتى أرى هل يجيب صداه كما زعم - حيث يقول :

ولو أن ليلي الأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ على ، ودونى جندلُ وصفائِهُ
لَسَلَّمْتُ تسليمَ البشاشة . . أو زقا إليها صدى من جانبِ القبرِ صائِغُ

فقال له : وما تريد من رمة وأحجار ؟ ! فقال : لا بدُّ من ذلك ، فعدل بها عن الطريق إلى القبرِ ، وذلك فى يوم قَائِظٍ ، فلما دنت راحلتها من القبر ورفعت صوتها بالسلام عليه ، إذا بطائر قد استظلَّ بحجارة القبر من فيح الهاجرة ، فطار ، فنفرت راحتها ووقعت ، فماتت !

وفي هذا الخبر ما يحقق ويصدق أن : البلاء موكلٌ بالمنطق . كما يروى أن أحد المولعين
بالخمر قال :

إِذَا مِتُّ فَأَدْفِنِي إِلَى جَنْبِ كَرْمِي تُرَوِّ عِظَامِي فِي الْمَتِ عَرُوقَهَا
وَلَا تَدْفِنُونِي فِي الْفَلَاةِ فَإِنِّي أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ إِلَّا أَذُوقَهَا
وبعد حين من ذلك ، مات ذلك المولع بالخمر ، وزار قبره ذاكرٌ له فإذا هو عليه عرش ،
فتمجّب من ذلك !

عبيد الله بن طاهر وجاريته :

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج - قال : أخبرنا أبو العباس المبرّد قال :
دخلت على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر - وقد فصد فظننت أن ذلك لعلّة ، فأكثرته له من
الدعاء . فقال : خَفِّضْ عَلَيْكَ أبا العباس ، فليس ذلك لعلّة ، وانظر ماتحت البساط ، فنظرت فإذا
رقعة فيها :

حَلَفَ الظَّرِيفُ بَقَطْمِهِ يَدَهُ إِنْ مَسَّ مِنْ يَهْوَاهُ بِالْأَلَمِ
حَتَّى إِذَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِهِ جَعَلَ الْفَصَادَ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ
قلت : حَسَنُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فاسيبه ؟ قال مددت البارحة يدي إلى إحدى الجوارى بِالضَّرْبِ
فَأَلَمْتُ لَمَّا نَالَهَا مِنَ الْأَلَمِ ، فحلفت بقطع يدي ، فَأُتِيتُ بِالْفَصْدِ ، ففعلت . وَأَشَدُّنَا الْأَخْفَشَ
لَأَبِي نَوَاسَ :

مَا بِالْ قَلْبِكَ لَا يَقْرُ خُفُوقًا وَأُرَاكَ تَرَعَى النَّجْمَ وَالْعِشُوقَا
وَجَفُونَ عَيْنِكَ قَدْ ثَرَنَ مِنَ الْبُكََا فَوْقَ الْمَدَامِعِ لَوْلُوا وَعَقِيقَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ إِنْسَانُ عَيْنِكَ سَابِحًا فِي بَحْرِ دَمْعَتِهِ لَمَاتَ غَرِيقَا

بحر هوى ليس له شطّ :

أخبرنا أبو بكر محمد بن دُرَيْد قال : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعي قال :

دخل بمض الشعراء على يحيى بن خالد البرمكيّ ، وبين يديه جارية يقال لها : خنساء ،

وكانت شاعرة ظريفة ، فقال له : اعبت بها فأنشأ يقول :

خنساء خنساء وحتى متى يرتفعُ الناسُ وتنحطُّ
قد صرت نضوا فوق فرش الهوى كأنني من دفتي خيظُ

فقلت خنساء :

وكيفَ منجأى وقد حلّ بي بحرُ هوى ليس له شطّ
يدركك الوصلُ فتنجؤ به أوقع الهجر فتنحطّ

حب زينب بنت إسحاق النصراني :

من فوائد الرّضى الشّاطبيّ المذكور ، ما ذكره أبو حيّان في الحبّ قال : وهو من

غريب ما أنشدنا الإمام اللّغويّ رضى الدّين أبو عبد الله محمد بن عليّ بن يوسف الأنصارى الشاطبيّ

لزينب بنت إسحاق النصرانيّ :

عديّ وتيمّ لا أحولُ ذكرهم بسوء ولكنّي محبّ لهاثم
وما يعتريني في عليّ ورهطه إذا ذكروا في الله لومة لائم
يقولون : ما بال أنصارى تُحبّهم وأهل النّهي من أعرب وأعجم
فقلت لهم : إنّي لأحسبُ حبّهم سرى في قلوب الخلق حتى البهائم

التائب من الحب :

قال الحجازي^(١) : قال عبد الوارث : كان فيمن يقرأ على مملوكٍ ملبحُ الوجه ، رضى الخلق ، حاد الذكاء . فَخَلَوْتُ به يوماً ، وداعبته بعبارات تُنبئُ عن شدة شغفي به ، فقال لى : حذار أن تعود لمثل هذا الكلام ، فللجُذران آذانٌ ، وربُّ عثرةٍ لسانٍ ، أودت بإنسانٍ . . . ولكن إذا لم تستطع الكتمان ، فاكتب لى ما تحب أن تقوله فى ورقةٍ فتكون فى أمانٍ واطمئنان .

قال : فلما سمعت ذلك منه تمكّن الطمع منى ، وكتبت فى ورقة :
يا مَنْ لَهُ حُسْنٌ يَفُوقُ به الْوَرَى صِلْ هائِماً قد ظلَّ فيك مُحِيراً
وامْنُنْ على بَسَاعَةٍ فى خَلْوَةٍ إن كنتَ تطمَعُ فى الهوى أن تُوجِرَا
وكتبت تحت البيتين كلاماً كثيراً فى هذا المعنى ، ثم دفعت إليه الورقة خلسة .
فلما حصلت الورقة عنده - كتب إلى فى غيرها : إنك لَتَمَلُمُ أنى من بيت عريق
فى التقوى . وسأبقى عندى خطك شاهداً على ما فرط منك ، وَلَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأُطْلَعَنَّ
عليها أبى وغيره . فتصيبك فضيحة الأبد .

أما إن انتهيت فلن أخبر بها أحداً أبداً .
فلما وقفت على خطه ، علمتُ قدر ما وقعتُ فيه ، وجملتُ أُرْغَبُ إليه فى أن يرُدَّ الرُّقْمَةَ
إلى ، فأبى وقال :

هى عندى رهن على وفائك بآلا ترجع إلى التكلّم فى ذلك الشأن .
ولم يسعنى إلا أن امثلت ، لأنّى رأيت صيانتى وناموسى فى يده ، وتبت عن مثل هذه
المداعبات .

(١) فى نفح الطيب ج ٢ ص ٩٥٢ .

الحب والجمال

حب امتداح النساء :

كان أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي - من الشعراء المطبوعين على حب امتداح من يراه من النساء ، عن براءة في القصد ، تحمّل في طياتها روحاً لا تؤمن إلا بالواقع ، مهما يكلفه ما قصد إليه ، دون أن يقيم لذلك وزناً في استجلاب مرضاة أحد ، ومهما يعترضه من خصوم أو لائمين ، فن وسائط قلائده :

مضت الشبية والحبيبة فالتقى
دمعان في الأجنان يزدهمان
ما أنصفتني الحادثات رميني
بمودة عين ، وليس لي قلبان
وقوله من أخرى :

قلت للعين حين شامت جمالاً
من بروق كواذب الإيعاض
لا يغرّنك هذه الأوجه المُرّ
فيارب حية في رياض
وقوله من أخرى أيضاً :

خليلى عهدى بالليالى صوافياً
فما بالها أبدلن جياً بصادها ؟
ولا تحسباً عيشي على فإني
أورخ يوم الموت يوم افتقادها
ولست أحب الضوء إلا لوجهِها
ولا البدر إلا طالماً من بلادها
ولو أنني أنصفتها ورعيتها
لسار فؤادي في طريق فؤادها
خليلى هل أبصرتما مثل أدُمعي
نقدت وحق الله قبل نقادها

وقال بعض الحكماء : ما آنس الإنسان ، ولا عمر المكان ، ولا سلى الأحران ،
ولا أعان على الزمان ، مثل البيض العوان .

وفي كتاب مُسْلِمٍ ، أن رسول الله - صَلَّى الله عليه وسلم - قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعِ الدنيا المرأةُ الصَّالِحَةُ » .

وفي كتاب « الأربعين » للثقفى عن أبي هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قال : سئل النبي - صَلَّى الله عليه وسلم : أى النساء خيرٌ ؟ فقال : التى تسره إذا نظر ، ولا تمصيه إذا أمر ، ولا تحالفه فيما يكره من نفسها ، ولا ماله .

وفي « الشهاب » : « النظرُ إلى المرأة الحسناء يزيدُ فى البصر » والله درُّ أبى نواس إذ يقول :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
وقال شاعر آخر :

وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي فَتَفْعَلُهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ
وقال غيره :

وَإِذَا الْحَبِيبُ أَتَى بِذَنْبٍ وَاحِدٍ جَاءَتْ حَاسِنُهُ بِأَلْفِ شَفِيعٍ

أعرابي يصف امرأة :

قال المثنى^(١) : سمعتُ أعرابياً يصف امرأة فقال : بيضاء جَعْدَةٌ ، لا يمسُّ الثوبُ منها إلا مُشَاشَةً كَغَفِيهَا ، وحَلَمَةٌ نَدِيهَا ، ورضنُ رَكْبَتَيْهَا ، وجَانِبِي أَلْيَتَيْهَا ، وأنشد :
أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لَقُمَصِهَا مَسَّ الْبُطُونُ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا
وَإِذَا الرِّيَّاحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً ، وَهَجَنَ غَيُورَا
وقال آخرُ : لَيْتَ فَلَانَةٌ حَظَّتْ مِنْ أَمَلِي ، وَلَرُبَّ يَوْمٍ سَرَتْهُ إِلَيْهَا حَتَّى قَبَضَ اللَّيْلُ
بصرى دونها ، وإنَّ مِنْ كَلَامِ النِّسَاءِ مَا يَقُومُ مَقَامَ الْمَاءِ فَيَشْفِي الظَّمَاءَ .

وذكر أعرابي امرأة فقال : تلك شمسُ باهت بها الأرضُ شمسَ سَمَائِهَا ، وليسَ لي شفيعٌ في اقتضاءها ، وإن نفسي لكُتُومٌ لِدائِهَا ، ولكنها تفيض عند امتلائها . أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسُ أرضِهَا التي تَمَّ نورُهَا فباهت بها الأرضون شمسَ سَمَائِهَا
شكوتُ وما الشكوى لِمِثْلِي عادةٌ ولكن تفيضُ النفسُ عند امتلائِهَا

وقيل لأعرابي : ما بالُ الحبِّ اليومَ على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحبُّ في القلب ، فانتقل إلى المِعدة ، إن أطعمته شيئاً أحبَّها ، وإلا فلا . كان الرجلُ إذا أحبَّ امرأةً ، ظلَّ حَولاً يطوفُ بِدارِهَا ويفرح إن رأى من رآها ، وإن ظفرَ منها بمجلسٍ تشاكياً وتناشداً الأشعار ، وإنه اليومَ يشرُّ إليها وتشير إليه ، ويمدُّها ويمدُّه ، فإذا اجتمعا لم يشكوا حبًّا ولم يُنشدَا شعراً .

وقال أعرابي يشكو لوعةَ الحبِّ وكِتمانَه وصبرَه على من يُحبُّه ولا يطيق سلوانَه :

شكوتُ فقالتُ : كلُّ هذا تبرّماً بِحُبِّي ، أراحَ الله قلبك من حُبِّي
فلما كتمتُ الحبَّ قلتُ : لشدَّ ما صَبَرْتُ ، وما هذا بفعلٍ شَجَى القلبِ
وأدنو فتقصيني فأبمدُ طالباً رضاها ، فتمتدُّ التَّباعدُ من ذَنبِي
فشكواي تؤذيها ، وصبري يسوؤها وتجزعُ من بُعْدِي ، وتنفرُ من قُرْبِي
فياقوهم هل مِن حيلةٍ تملعونها ؟ أشيرُ وأبها ، واستوَجِبُوا الشكرَ مِن رَبِّي

الوصف بعد المشاهدة^(١) :

اشتهر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني بروائع السكِّم في نظم الشعر ، واتخذ لنفسه طرائق سهلةً ، غاية في البساطة ، فكان يسمو بوصف ما أحسَّ به ، واستساغَه ، ويكسوه من رقة المعاني أسلوباً جميلاً يقرُّبه إلى الفهم ، حتى يتذوق أنغامه المستمعُ شراباً

(١) في خاص الخاص للثعالبي .

عذباً سلسيلاً ، ويملاً به المحزون صدره نسيماً صافياً عليلاً ، ومن بدائع طُرفه قوله :

أندى الذى قال وفى كفه مثل الذى أشرب من فيه
الورد : قد أينع فى وجنتى قلت : فمى بالثمر يجنيه

وقوله ، ولم أسمع فى التعريض بالالتحاء أحسن منه :

قد برح الحب بمشتاقك فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفهُ وارِع له حقهُ فإنه آخر عُشاقك

وقوله فى فصد الحبيب :

يألت عيني تحملت الماك وليت كف الطيب إذ فصدت
عرقك أجرت من ناظري دمك أعرتة صبغ وجنتيك كما
تغيره إن لثمت من لثمك طرفك أمضى من حد مبضعه
فألحظ به العرق واغتيم الماك

وقوله من قصيدة أولها :

من أين للعارض السارى تلهمه وكيف طبق وجه الأرض صيبه
هل استمان جفوني فى تنجده أم استعار فؤادى فهو يلهمه

ومنها :

بجانب الكرم من بداد لي قمره لولا التجميل ما أنفك أندبه
وصاحب ما صحبت الدهر مذبت دياره ، وأراني لست أصحبه
فى كل يوم لعمري ما يؤرقها من ذكره ولقلبي ما يعذبه
وما البعاد دهاني ، بل خلائقه ولا الفراق شجاني ، بل تجنبه

وله أيضاً :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق أوسع فقلت : ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن فى الأرض حر يُعِيننى ولم يك لي كسب ، فمن أين أرزق ؟

أَسْنَانُ النِّسَاءِ (١) :

قال أبو الحسن الأخفش : من أَحْسَنَ ما قيل في ترتيب أسنان النساء ، وإن كان شعراً ضعيفاً ، قولُ ضَمْرَةَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ ، وقد سأله وصف النساء :

مَتَى تَلْقَى بِنْتَ « الْعَشْرِ » قَدْ نُصَّ ثَدْيُهَا
تَجِدُ لَذَّةً مِنْهَا خَلْفَةَ رُوحِهَا
وصاحبة « العشرين » : لا شيء مثلها
وبنت « الثلاثين » : الشَّفاء حَدِيثُهَا
وإن تلقى بنت « الأربعين » فغَبِطَةٌ
وصاحبة « الخمسين » : فيها بَقِيَّةٌ
وصاحبة « الستين » لا خَيْرَ عِنْدَهَا
وصاحبة « السبعين » إِنْ تُلِفَ مُعْرَسًا
وذات « الثمانين » الَّتِي قَدْ تَجَلَّلَتْ
وصاحبة « التسعين » يَرَعَشُ رَأْسُهَا
وَمَنْ طَالَعَ الْأُخْرَى ، فَقَدْ ضَلَّ عَقْلُهُ

كُلُّ لَوْةٍ الْغَوَاصِ يَهْتَرُ جِيدُهَا
وَعُرِّيَّهَا ، وَالْحُسْنُ بَعْدَ يَزِيدُهَا
فَتِلْكَ الَّتِي تَلْهُوُ بِهَا وَتُرِيدُهَا
هِيَ الْعَيْشُ مَارَقَتْ وَلَا دَقَّ عَوْدُهَا
وَحَيْرُ النِّسَاءِ : أَوْدُهَا وَوَلُودُهَا
مِنَ الْحُسْنِ وَاللَّدَاتِ ، صُلْبُ عَمُودُهَا
وَفِيهَا ضِيَاعٌ ، لَا حَرِيصَ يُرِيدُهَا
عَلَيْهَا فَتِلْكَ خَزِيَّةٌ يَسْتَفِيدُهَا
مِنَ الْكِبَرِ الْفَانِي وَقَدْ وَرِيدُهَا
وَبِاللَّيْلِ مِقْلَاقٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
وَتَحْسِبُ أَنَّ النَّاسَ طُرًّا عَبِيدُهَا

دَارَةُ يَلْعَبُ فِيهَا الْبَدْرُ (٢) :

عُرف الشيخ سعيد السَّمانُ الدمشقي ، بحبِّ الجمال ، وشغف بتصوير ما يَعشَقُ تصويراً حساساً ، ومن قوله مضمناً مصراعه الأخير :

يَارُبَّ ظَنِّي كَالِدَامِ حَدِيثُهُ
قَدْ خَلَتْهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِكَفِّهِ
وَالْوَجْهُ فِيهَا لَا تُحْ فَكَأَنَّهَا
هِيَ دَارَةُ وَالْبَدْرُ فِيهَا يَلْعَبُ

فَيُسَيِّغُهُ سَمْعِي وَعَقْلِي يَطْرُبُ
مِرَاةُ حُسْنِ لَوْنِهَا يَتَدَهَّبُ

وقال العالم أحمد المتيني ، مضمناً نفس المصراع :

عَاتَبَتْهُ وَكَأَنَّهُ مِنْ لُطْفِهِ رَاخٌ تَكَادِلُهَا اللَّوَاظُ تَشْرَبُ
بِالْعَقْلِ وَالشُّطْرَنْجِ يَلْعَبُ وَهُوَ قُسطَاطٌ حُسْنٌ لِلْمِسْرَةِ يَجْبُ
يَحْكِي الزَّمَرْدُ خَضِرَةً فَكَأَنَّمَا هِيَ دَارَةٌ وَالدُّرُّ فِيهَا يَلْعَبُ

المرأة والطيب^(١) :

يَحْمِلُنَ أَرْجَةَ تَضْحُ الْعَبِيرُ بِهَا كَأَنَّ تَطْيَابَهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ
الْأَرْجَةُ هُنَا : كُنَايَةُ عَنْ الْمَرْأَةِ شَبَّهَهَا بِهَا فِي طِيبِ رَائِحَتِهَا ، وَمَا فِي لَوْنِهَا مِنَ الصُّفْرِ
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَكْرَهُ بَيَاضَ اللَّوْنِ الْمَفْرَطِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَعْبِيُونَ قَوْلَ الْأَعَشَى :
وَمِنْ كُلِّ بَيْضَاءٍ رُغْبُوبَةٌ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنِ
وَكَانُوا يَسْتَحْسِنُونَ قَوْلَ ذِي الرِّمَةِ :
صَفْرَاهُ فِي نَعَجٍ بَيْضَاءٍ فِي دَعَجٍ كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ

تتف الوجه بالخيط^(٢) :

قال الناظم : لما استقرَّ بنا المقام ، بين إقدام وإحجام ، ودفعنا الحنين إلى ما يُحَمَّدُ
عقباه ، قرأنا على أبي بكر بن دُرَيْدٍ رحمه الله :

فَلَمَّا مَضَى ثَمَرُهُ وَعَشْرُهُ لَمِيرَهَا وَقَالُوا : يَجِيءُ الْآنَ قَدْ حَانَ حِينُهَا
أَمَرْتُ مِنَ الْكَتَاثِ خَيْطًا وَأَرْسَلْتُ جَرِيًّا إِلَى أُخْرَى قَرِيبًا تُعِينُهَا

هذه امرأة تنتظر عيراً تَقْدُمُ وزوجها فيها ، فأرادت أن تتف وجهها بالخيط وتهيأ له .
والجريُّ : الرَّسُولُ . يقول : أرسلته إلى جارية لها تستعين بها في تتف وجهها بالخيط للترئين .
وبعد هذا سار مسترسلاً معبراً عن الخيط بالسلك ، لأنه أقرب إلى المعنى ، وأسلس في البنى ،

(٢) في أمالي القالي ج ١ ص ١٩٨ .

(١) في الاقنصاب ص ٣٨٢ .

فقال :

فأزال يَجْرِي السَّلَكُ في حرٍّ وَجْهَهَا وَجْهَهَا حَتَّى ثَنَّتَهُ قُرُونُهَا
ثَنَّتَهُ : كَفَّتَهُ . وقرونها : ذوائبها . ومنه قول مجنون لَيْلَى لزوجها :
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قُبَيْلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبْلَتْ قَاها ؟
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلَى رَفِيفَ الْأَتْحَوَانَةِ فِي شَذَاها

تشبيه المرأة بيدر السماء :

بَدَتْ لَيْسُ كَأَنَّهَا بَدَرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى
قوله : كأنها بدر السماء ، في موضع الحال للمرأة أى : بَدَتْ مشبهة البدر ، وإذا تبدَّى
ظرفٌ لما دلَّ عليه كَأَنَّ مِنْ مَعْنَى الفعل . أى : بَرَزَتْ هذه المرأة كاشفةً عن وَجْهها ،
كأنها قد أُرْسِلَتْ نَقَابَهَا . ودلَّ على هذا بقوله : كأنها بدرُ السماء إذا تبدَّى . وإنما فعلت ذلك
إِمَّا لِلتَّشْبِيهِ بِالْإِمَاءِ حَتَّى تَأْمَنَ السَّبَاءُ ، أو لما تَدَاخَلها من الرعب . ومثله قول الشاعر :
وَنَسَوْتَكُمْ فِي الرَّوْعِ بَادٍ وَجُوهَهَا يُخْلَنَ إِمَاءُ ، وَالْإِمَاءُ حَرَارُ

لقاء فتى جميل الوجه في الجنة :

ذكر البرد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عمرو النخعي قال :
كان بالكوفة فتى جميل الوجه ، شديد التعمد والاجتهاد . فنزل في جوار قوم من النخع ،
فنظر إلى جارية منهم جميلة ، فهوياها وهام بها عقله . ونزل بالجارية ما نزل به ، فأرسل يخطبها
من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها . فلما اشتدَّ عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى ،
أرسلت إليه الجارية ، قد بلغت شدة محبتك لي ، وقد اشتدَّ بلائي بك ، فإن شئت زرتك ،
وإن شئت سهلتُ لك أن تأتي إلى منزلي . فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخلتين
« إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم » أخاف نارا لا يخبو سعيها ، ولا يحمدها لهيها .

فلما أبلغها الرسول قوله ، قالت : وأراه مع هذا يخاف الله . والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشركون . ثم انخلت من الدنيا ، وألقت علائقها خلف ظهرها ، وجعلت تتعبد . وهي مع ذلك تذوب وتنحل حباً للفتى وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك . فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ، ويدعو لها . ففلبته عينه ذات يوم على قبرها ، فرآها في منامه في أحسن منظر . فقال لها : كيف أنت وما لقيت ؟ قالت :

نِعْمَ الْمَحَبَّةُ يَا سَوْلى مَحَبَّتُكُمْ حَبٌّ يَقودُ إِلَى خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ
فقال : على ذلك إلام صرت ؟ فقالت :

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مُلْكٌ أَيْسَ بِالْفَآئِي

فقال لها : اذكريني هناك ، فأني لست أنساك . فقالت : ولا أنا والله أنساك ، ولقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا ، فأعنى على ذلك بالاجتهاد . فقال لها : متى أراك ؟ فقالت : ستأتينا عن قريب فترانا . فلم يعيش الفتى بعد الرؤيا إلا سبعة ليال حتى مات ، رحمه الله . وذكر الزبير بن بكار ، أن عبد الرحمن بن أبي عمار نزل مكة ، وكان من عباد أهلها ، فسمى القس من عبادته . فمر يوماً بجارية تغنى ، فوقف فسمع غناءها فرآه مولاه . فأمر أن يدخل عليها فأبى . فقال له : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها . ففعل فأعجبته . فقال له مولاه : هل لك أن أحوّلها إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ، ثم أجابه إلى ذلك . فنظر إليها فأعجبته ، فشغف بها وشغفت به .

وعلم بذلك أهل مكة . فقالت له ذات يوم : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله أحب ذلك . قالت : فما يمنحك ؟ فإنّ الموضع خال ! قال لها : ويحك ، إني سمعت الله يقول : « الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ » . فأنا والله أكره أن يكون صلة ما بيني وبينك في الدنيا عداوة يوم القيامة . ثم نهض وعيناه تذرفان بالدموع من حبها !

تكنى المرأة بالشاة أو البيضة^(١) :

خرج الرشيدُ في بعض أسفاره . فأخرج معه أخته عُلَيَّةَ ، وكان قد بلنه أنها تُعَجَّب بسلام نه اسمه « رَشَا » فأبعمده ، وقيل قَتَلَهُ . ثمَّ إنَّها علقت من بعده غلاماً آخر اسمه « طَلَّ » فكانت تكثُرُ من ذكرها له . فقال لها الرشيدُ : والله لئن ذكرتِه لَأَقْتُلَنَّكَ ، فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهي تقرأ قوله تعالى : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ » . فلما شعرت به قرأت أول الآية « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ » ثُمَّ أَمْسَكَتْ حتَّى لا تذكر اسم (طَلَّ) وأكلت قائلة : « فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ . . . فالذى نهى عنه أمير المؤمنين . فابتسم الرشيدُ وقال لها : « ولا هذا أيضاً يا أُخَيَّةَ » .

وقيل إنَّه أخرج ذلك الغلام من قصره ، فطار قلبها حزناً لفراقه ، وقالت :
أَيَا سَرَحَةَ الْبُسْتَانِ طَالَ تَشْوُقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكِ سَبِيلُ ؟
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ
فانظر كيف وَرَّتْ « يَظِلُّ عَنْ طَلٍّ » بعد أن قدِّمت ذكر السَّرَحَةِ - وهي الشجرة -
لتنمكّن من لفظة ظلّ فتبعده التَّهْمَةُ . وكثيراً ما تذكر العرب لفظة السَّرَحَةُ أو الشاة أو
البيضة أو القلوص ، وهي الشابة من الإبل ، وتكنى بذلك عن المرأة .

وكانت أم حكيم من أجل نساء وقتها ومن أشجع الناس وأحسنهم بديهةً ، خطبها
جماعةٌ من أشراف الخوارج فردَّتهم ، وكانت مع أمير الخوارج قطريُّ بن الفجاءة ، في جُند
(الْأَبَاصِيَّة) فكانت ترجزُ في تلك الحروب وتقول :

أَحْمَلُ رَأْسًا قَدْ سَمْتُ سَحْمَلَهُ وَقَدْ مَلَكْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ

أَلَا فَنَتَّى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ ؟

والخوارج يَفْدُونَهَا بِالْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ ، وكان « قطريُّ » يُشَبِّبُهَا . وفيها يقول

في وقعة دُولَاب ، وهو من رقيق الغزَل :

لَعَمْرُكَ إِنِّي فِي الْحَيَاةِ لَزَاهِدٌ
 مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ لَمْ يُرْ مِثْلُهَا
 لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ الظُّمِّ وَجْهَهَا
 وَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ دَوْلَابٍ أَبْصَرْتُ
 غَدَاةَ طِفْئِ عِلْمَاءِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ
 فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ مَقْعَصًا
 وَضَارِبَةً حَدًّا كَرِيمًا عَلَى فَتَى
 أُصِيبَ بِدَوْلَابٍ وَلَمْ تَكُ مَوْطِنًا
 فَلَوْ شَهِدْتَنِي يَوْمَ ذَاكَ وَخَيْلُنَا
 رَأَتْ فَتِيَّةً بَاعُوا الْإِلَهَ نَفُوسَهُمْ
 وَفِي الْعَيْشِ مَا لَمْ أَلْقَ « أُمَّ حَكِيمٍ »
 شَفَاءَ لَذَى بَثٍّ وَلَا لَسْقِيمٍ
 عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ جِدُّ لَثِيمٍ
 طِعَانِ فَتَى فِي الْحَرْبِ غَيْرَ ذَمِيمٍ
 وَعُجْنًا صُدُورِ الْخَيْلِ نَحْوِ تَمِيمٍ
 يَمْجُجُ دَمًا مِنْ فَايِظٍ وَكَلِيمٍ
 أَغْرَى نَجِيبِ الْأُمَّهَاتِ ، كَرِيمٍ
 لَهُ أَرْضُ دَوْلَابٍ ، وَدِيرُ حَمِيمٍ
 تُبِيحُ مِنَ الْكُفَّارِ كُلَّ حَرِيمٍ
 بِجَنَّةٍ عَدْنٍ عِنْدَهُ وَلَنِيمٍ

* * *

أَسْمَاءُ النِّسَاءِ^(١):

ولابن الوردي في « أسما » :

أَرَى أَسْمَا إِذَا غَضِبَتْ وَصَدَّتْ
 وَإِنْ هِيَ وَاصِلَتْنِي طَابَ قَلْبِي
 وَفِيهَا أَيْضًا :

قَدْ لَامَنِي فِي حَبِّ أَسْمَا عَاذِلْ
 فَاعْجَبْ لِحُرَى مَدَامِعِ أَوْقَتِهَا
 وَفِي أَمْنَةٍ :

قَدْ وَعَدْتَنِي بِالْوَفَا أَمْنَهُ
 كَيْفَ يَخَافُ الْقَلْبُ مِنْ بَيْنِهَا
 وَقَدْ غَدَتِ بِالْإِضَا أَمْنَهُ
 وَمَهْجَتِي أَضَحَتْ بِهَا أَمْنَهُ

(١) الجزء رقم ٩٤٨ شعر تيمور .

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن الرطب قوامها عجبته في لجة القلب كامنه
تهددني بالهجر في الوصل عامداً فأصبح منها خائفاً وهي آمنه
وللازهرى في أنس :

أنست بالوصل مذ جاءت به أنس يوماً وعاذلها قد باء بالخرس
عن مالك قد روى نيران وجنتها لكن حديث اللقاء أرويه عن أنس
وله في حليلة :

قالوا حليلة صبحت بفرط وجدى عليه
لم لاترق لحالى فى الحبّ وهي حليلة
وفى خديجة :

خديجة قد سبتنى بنار خدّ وهيجه
وكانت الروح تقسو والآن روحى خديجه

وفيها أيضاً :

تمشّق فى الهوى قلبى فتاةً تزين البدر ذو حسن بهيجه
أموت بحبها شوقاً وأحيا إذا ناديت ياستى خديجه
وفى زينب :

وعرض بذكري حين تسمع زينب وقل ليس يخلو ساعة منك آله
عساها إذا ما مرّ ذكرى بسمعها تقول فلان عندكم كيف حاله ؟
وفى سلمى :

سلمى من لواظها سهام لها فى القلب فتك أى فتك
إذا رامت تشكّ به فؤاداً يموت السهم بغير شكّ
وفى عائشة :

أيا دهرُ خبرنى بحقّك واشفىنى فسهم فكرى فى أمورى طائشه
أيمل أنى فى المحبة ميّت وحييتى من بعد موتى عائشه

وفيها أيضاً :

شغل القلب بقدر أهيف
أنت دعني أن أمت في حبها
تركت منه العوالى طائشه
ثم دعها بعد عيني عايشه

وفي فاطمة :

فاطمة مذ كنت طفلاً بها
كم أَرْضَعْتَنِي وصلها بالهنا
مت جوى وهى بذأ عاله
ثم انثنت لى بأنها فاطمه

وفيها أيضاً :

هيفاء كالنصن لها قامه
قد أَرْضَعْتَ طفل الهوى مره
عادلته مع أنها ظاله
بوصلها ثم انثنت فاطمه

وفيها أيضاً :

قاتلتى قد أصبحت
ناديتها يا مهجتي
والبحر منها كاظمه
ما الإسم ؟ قالت : فاطمه

ولالأزهرى فى نفيسة :

نفيسة بالبها ملكت فؤادى
وقد حازت لفرط سنا بهاها
وأضحت فى ملاحظتها رئيسه
وذات الحسن مرتبة نفيسة

ولابن الجليل فى عالة :

عالة عاملة بالجفأ
قلت لها هل تعلمين الذى
قامتها عادلة ظاله
ألقاه قالت إننى عاله

وله أيضاً - فيها :

عالة لها على
وأوتيت من كل شى
كرسيها فضل جسيم
ولها عرش عظيم

ولابن الوردى فى قابلة :

أقول لقابله أدمعى
أنا رجل مقبل للقا
على حبها تقطع السابله
قالت وأنا امرأة قابله

وله في كاتبة :

كاتبة توقيع نسخ الجفا
يصدر عن سمتها الراحمة
تكنم أسرار رقاى لها
أحسن بها كاتبة كاتمة

وله في فقيهة :

تفقهت في عذابى
وبالنت في جدالى
خود تسيط غراى
عن طرفها الغزالى

ولالأزهرى - في خياطة :

أحببتها كالبدرد خياطة
منزلها في القلب والظرف
فلى ركوب الفرج من وصلها
وللرقيب الشل بالكف

وله في عجانة :

كف الفؤاد بظبية عجانة
ما كنت يوماً آمناً من مجرها
عجنت فؤادى بالنرام فأوها
من أدمعى ودقيقها من خصرها

وله في جبانة - أى بائنة الجبن :

بائعة جبن مُذْ هُمْتُ بها
رأى الورى روحى بها تعبانة
وكلّ أهل الحى قد تحققوا
بأننى أموت في الجبانة

وله في مسخرة :

عجبت في رمضان من مسخرة
بديمة الحسن إلا أنها ابتدعت
جاءت تسخرنا يوماً فقلت لها
كيف السحور وهذى الشمس قد طلعت

ولابن الوردى في رومية :

رومية الأصل لها مقلّة
تركّية صارمها هندی
تفضحنى وجنتها فاعجبوا
من وجنة فاضحة الوردى

وله في مصرية :

مصرية كأنها بدر
خَلَقَ من فجّل
تملقنى مكرّاً ولا
ينكر من مص الملق

وله في شامية :

شامية شامة بوجنتها برق لي في حبها الشامة
أخشى من اللامة إذا قبلتها فقوم بختي يطق الصامت

وله في بدوية :

وبي من البدو كلاء الجفون بدت فلوا بدت لحسان الحضر قن لها
في قومها كهة بين آساد على الرؤوس وكان الفضل للبادي

وله في عراقية :

بي هيفاء من بنات العراق ثم قالت : أتيت من باب ابرز
أطلقت أدمعي وشدت وثاقي بالعطايا رأيت باب الطاق

وله في مشرقية :

جاءت من المشرق لا مالنا وقالت : احذر يا فتى فتنة
في عينها شيء ولاجا هنا للناس ، والفتنة من هاهنا

وله في مغربية :

يابنات الشرق حاذرن السطا مظهر البدر من مشرقه
ولالأزهرى في مجوسية : إن بنت الغرب في موكبها
كطلوع الشمس من مغربها

عابدة الفور سنا نورها قد أحرقت قلبي بهجرانها
أوضح لي في الحب أعذارا فالويل ممن يعبد النازا

وله في نصرانية :

زنار بنت النصارى فح لها أي فح
رجاني الشد منه وكثرة الشد ترخي

وقال آخر في مليحة تلعب بالشطرنج

لاعتبها بالشطرنج ثم ضربتها قالت : فنفسك ، قلت : حصنتها
بالرخ شاة تسترت بالفيل لكن خذي فرسي هناك وفيلي

الغزل ووصف النساء

الغزل والتغزل والفرق بينهما^(١) :

قيل لأبي السائب المخزومي : أترى أحداً لا يشتهي النسيب ؟

فقال : أمّا من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا !

والنَّسِيبُ والتَّغَزُّلُ والتَّشْيِيبُ كلها بمعنى واحد .

قيل : الغزل هو إلفُ النِّسَاءِ والتَّخَلُّقُ بما يوافقهن ، فن جملة بمعنى التغزل فقد أخطأ .

وقد نبّه على ذلك « قدامة » وأوضحه في كتابه « نقد الشعر » .

وقال الحاتمي : من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه ، أن يكون ممزوجاً

بما بعده من مدحٍ أو ذمٍّ ، متصلاً به غير منفصل منه ؛ فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان

في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فتق انفصل واحد من الآخر وبأينه في صحّة التركيب ،

غادر بالجسم عاهةً تتخونُ محاسنه وتُعفى معالمه .

ياليل الصب متى غده^(٢) ؟ :

من نواذر الطرائف ما ذكره « ابن بشكوال » في كتاب الصلة . كما ذكره الحميدى أيضاً .

وهو : كان أبو الحسن ، على الحصريّ القيروانيّ ، ابن خالة أبي إسحاق صاحب « زهر الآداب »

حافظاً فاقها ، وأديباً عالماً بالقراءات وطرقها .

وقد أقرأ الناس القرآن الكريم في « سبّته » وغيرها ، وله قصيدة نظمها في قراءات

نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر . ومن قصائده السائرة القصيدة المشهورة

التي أوّلها :

(١) في العمدة : لابن رشيق ج ٢ ص ٩٤ (٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٤٣٢

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد الكنتاني أبو الفضائل المروف
بالقمراوى رحمه الله بأبيات من جملتها :

قد ملّ مريضك عودُهُ ورثى لأسيرك حسدُهُ
لم يبقَ جفالك سوى نفيس زفرات الشوق تصعدُهُ
هاروت يُفنعنُ في السَّحْ ر إلى عَيْنِكَ وَيُسْنِدُهُ
وإذا أعمدت اللَّحْظَ فتَكَ ت فكيف وأنت تُجرِّدُهُ
كم سهّل خذك وجهَ رضا والحاجبُ منك يُعقِّدُهُ
ما أفرّك فيك القلبُ فكم في نارِ الهجرِ يُخلِّدُهُ

أما قصيدة أبي الحسن علي الحصرى القيروانى فهي :

يَالَيْلَ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رقدَ السَّمارُ فأرقَهُ أسفُ للبينِ يُردِّدُهُ
فبكاهُ النَّجمُ ورقَ له مما يرعاهُ ويرصدُهُ
كَلِفُ بَغْزَالِ ذِي هَيْفِ خَوْفِ الْوَاشِينَ يشرِّدُهُ
نَصَبْتُ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَا فِي النَّوْمِ فَمَرَّ تصيدُهُ
وكفى عجباً أنى قَنِصُ لِّلسَّرِبِ سَبَانِي أَعْيِدُهُ
صَنَمٌ لِّلْفِتْنَةِ مُنْتَصِبٌ أَهْوَاهُ وَلَا أتعبدُهُ
صَاحِ وَالْخَمْرُ جَنَى فَمِهِ سَكْرَانُ اللَّحْظِ مُعْرِيدُهُ
يَنْضُو مِنْ مُقْلَتِهِ سَيْفَا وَكَأَنَّ نَاسَاً ينعمدُهُ
فِيرِيقُ دَمِ الْعِشَاقِ بِهِ وَالْوَيْلُ لِمَنْ يَتَقَلَّدُهُ
كَلَا ، لَا ذَنْبَ لِمَنْ قَتَلَتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ تَقْتُلْ يَدُهُ
يَأْمَنُ جَحَدَتْ عَيْنَاهُ دَمِي وَعَلَى خَدَّيْهِ توردُهُ
خَدَاكَ قَدْ اعْتَرَفَا بِدَمِي فَعَلَامَ جُفُونِكَ تَجْحَدُهُ

إِنِّي لِأَعِيدُكَ مِنْ قَتْلِي وَأُظَنُّكَ لَا تَتَمَعَّدُهُ
 بِاللَّهِ هَبِ الْمُشْتَاقُ كَرَّمِي فَلَمَلَّ خِيَالُكَ يُسَعِّدُهُ
 مَا ضَرَّكَ لَوْ دَاوَيْتَ ضَنِّي صَبَّ يَدُنِيكَ وَتُبَعِّدُهُ
 لَمْ يُبْقِ هَوَاكَ لَهُ رَمَقًا فَلْيَبْكِ عَلَيْكَ عُوْدُهُ
 وَغَدَاً يَقْضِي أَوْ بَعْدَ غَدٍ هَلْ مِنْ نَظَرٍ .. يَتَزَوَّدُهُ
 يَا أَهْلَ الشُّوقِ لَنَا شَرِّقْ بِالْأَمْعِ يَفِيضُ مَوْرَدُهُ
 يَهْوِي الْمُشْتَاقُ لِفَقَاءِكُمْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَبَعِّدُهُ
 مَا أَخْلَى الْوَصْلَ وَأَعَذَّبَهُ نَوَلَا الْأَيَّامُ تُنَكِّدُهُ
 بِالْبَيْنِ وَبِالْهَجْرَانِ ، فَيَا لِفَوَادِي كَيْفَ تَجَلِّدُهُ
 الْحَبَّ أَعَفُ ذَوِيهِ أَنَا غَيْرِي بِالْبَاطِلِ يُفْسِدُهُ

استحسنان وضاعة الوجه^(١) :

كان لعز الدولة غلام ذكى وضىء الوجه ، ولفرط ميله إليه - جعله رئيس سرية جردت للحرب ، ولم يستحسن المهيلى ذلك منه ، فكتب إليه :

ظَنِيَّ يَرْقُ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَيَرُوقُ عُوْدُهُ
 نَاطُوا بِمَقَدِّ خَصْرِهِ سَيْفًا وَمِنْطَقَةً تَوُوْدُهُ
 جَمَلَاوُهُ قَائِدَ عَسْكَرٍ ضَاعَ الرَّعِيلُ وَمَنْ يَقُوْدُهُ

وكافت الدائرة على جيش الغلام كما أشار المهيلى ! .

وفى « خزانة الأدب » للبندادى ج ٣ :

الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة من قريب ، والجميلة هى التى تأخذ بصرك جملة ، فإذا دنت منك لم تكن كذلك ، والمليحة هى التى كلما كررت بصرك منها زادتك حسناً .

(١) فى نفع الطيب .

وقيل : الجميلة هي السَّمينَة من الجميل وهو الشحم . والمليحة : هي البيضاء ، والصَّبيحة كذلك ، من الصُّبْحِ لبياضه .

وروى أنس عن النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ : « حُسْنُ الْوَجْهِ مَالٌ » .

وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً : « اطلُّبُوا الْخَيْرَ عِنْدَ حِسَانِ الْوُجُوهِ » .

وقال ابن عمر : قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ تَجَلُّو الْبَصَرَ : النَّظَرُ إِلَى الْخَضِرَةِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْمَاءِ الْجَارِي ، وَالنَّظَرُ إِلَى الْوَجْهِ الْحَسَنِ » .

ونظمها الشاعر فقال :

ثَلَاثَةٌ يُذْهِبْنَ لِلرَّءِ الْحَزْنَ الْمَاءُ ، وَالْخَضِرَةُ وَالْوَجْهُ الْحَسَنُ

كواكب لا كواعب :

كلن عبد العزيز بن سرايا ، وهو الإمام العلامة شاعر عصره على الإطلاق . وقد أجاد القصائد المطولة والمقاطع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، كما قد أزرى زهر الأرض في الربيع ، تطربك ألفاظه المصقولة ، ومعانيه المسولة ، ومقاصده التي كأنها سهام راشقة وسيوف مسولة .

وكان مولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ . ورحل إلى مصر سنة ٧٢٦ ، واجتمع بالقاضي علاء الدين بن الأثير ومدحه ، كما مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة وازى بها قصيدة المتنبي التي أولها : « بأبي الشموس الجانحات غواربا » وفيها يقول :

أَسْبَلَنْ مِنْ فَوْقِ الشُّهُودِ ذَوَائِبًا فَتَرَكَنْ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ ذَوَائِبًا
وَجَلَوْنَ مِنْ صُبْحِ الْوُجُوهِ أَشْعَةً غَادِرْنَ فَوْدَ اللَّيْلِ مِنْهَا شَائِبًا
بَيْضُ دَعَاهُنَّ النَّبِيُّ كَوَاعِبًا وَلَوْ اسْتَبَانَ الرَّشْدُ قَالَ كَوَاكِبًا

سَفَهَنَ رَأَى الْمَانَوِيَّةَ عِنْدَمَا
وَسَفَرَنِي ، فَوَأَيْنَ شَخْصًا حَاضِرًا
أَشْرَقَنَ فِي حُلَلٍ كَأَنَّ أَدِيمَهَا
وَعَرَبَنَ فِي كِلَلٍ ، فَقُلْتُ لَصَاحِبِي :
وَمُعَرِّدِ اللَّحْظَاتِ يَثْنِي عِطْفُهُ
حُلُوُ التَّعْتِبِ وَالِدَّلَالِ يَرَوْعُهُ
عَاتِبَتُهُ فَتَضَرَّجَتْ وَجَنَاتُهُ
فَأَرَانِي الْخَدَّ الْكَلِيمَ فَطَرَفُهُ
ذُو مَنَظَرٍ تَغْدُو الْقُلُوبُ بِحُسْنِهِ
لَا عَرَوْا إِنْ وَهَبَ اللَّوَّاحِظُ حَظْوَةً

أَسْبَلَنَ مِنْ ظِلِّ الشُّعُورِ غِيَاهِبًا
شُدِّهَتْ بِصِيرَتِهِ ، وَقَلْبًا غَائِبًا
شَفَقْتُ تَدْرِهُمُهُ الشُّمُوسُ جَلَابِيَا
« يَا بِي الشُّمُوسُ الْجَانِحَاتُ غَوَارِيَا »
فِيخَالُ مِنْ فَرَجِ الشَّيْبَةِ شَارِبًا
عَتَبِي ، وَلَسْتُ أَرَاهُ إِلَّا عَاتِبًا
وَأَزُورُ الْخَاطِطَ وَقَطَّبَ حَاجِبًا
ذُو النُّونِ إِذْ ذَهَبَ الْغَدَاةُ مُغَاضِبًا
نَهَبًا وَإِنْ مَنَحَ الثُّيُونَ مَوَاهِبًا
مِنْ نُورِهِ ، وَغَدَا لِقَلْبِي نَاهِبًا

كل فتاة بأبيها معجبة^(١) :

أرجوزة للأغلب العجلي ، يقول فيها :

كريمةٌ أحوالها والعصبة
كأنها حقةٌ مسكِ مذهبة
كأنها حليةٌ سيفٍ مذهبة
ثمَّ انثنت به فوق الرقبة

قباء ذات سُرَّةٍ مُقَعَّبَةٍ
ممكورةٌ الأعلى رَدَّاحُ الحِجَبَةِ
أَهْوَى لَهَا شَيْخٌ شَدِيدُ الْعَصَبَةِ
فَاعْلَنْتُ بِصَوْتِهَا : أَنْ يَا أَبَةَ

« كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ »

(١) في خزانة الأدب ج ١ : أرجوزة للأغلب العجلي يقول فيها :

أصل بليتي من قد غزاني^(١) :

من روائع شعر عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأعلاي السعدي الصقلي المعروف
بالقاضي الجليس - ما يدعو إلى الحكمة في غزله - وقد عاش نحواً من سبعين عاماً - كما تولى
ديوان الإنشاء للفارز مع الموفق بن الخلال ، ومن مداعبته :

حَيَّا بِتَفَاحَةٍ مَخْضَبَةٍ مِنْ شَفَقَتِي حُبَّهُ وَتَيْمَنِي
فَقُلْتُ : مَا إِنْ رَأَيْتُ مُشَبَّهًا فَاحْمَرُّ مِنْ خَجَلَةٍ فَكَذَّبَنِي
وقال أيضاً :

وَأَصْلُ بَلِيَّتِي مَنْ قَدْ غَزَانِي مِنْ السَّقَمِ الْمُلِحِّ بِمَسْكَرِينِ
طَيِّبٌ طَبَّهُ كَفَرَابٍ بَيْنِ يُفَرِّقُ بَيْنَ عَافِيَتِي وَيَسِي
أَنْى الْحَمَى وَقَدْ شَاخَتْ وَبَاخَتْ فَمَادَ لَهَا الشَّبَابُ بِنَسَخَتَيْنِ
وَدَبَّرَهَا بِتَدْيِيرٍ لَطِيفٍ حَكَاهُ عَنْ سُنَيْنٍ أَوْ حُنَيْنِ
فَكَانَتْ نَوْبَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ فَصَيَّرَهَا بِحَذَقٍ نَوْبَتَيْنِ
وقال أيضاً :

يَاوَارِثًا عَنْ أَبِي وَجَدَ فَضِيلَةَ الطَّبِّ وَالسَّدَادِ
وَحَامِلًا رَدًّا كُلَّ نَفْسٍ هَمَّتْ عَنِ الْجِسْمِ بِالْإِمَادِ
أُقْسِمُ لَوْ قَدْ طَبِيتَ دَهْرًا لِمَادِ كَوْنًا بِلَا فُسَادِ

وقال من جناس بديع :

رُبَّ بَيْضٍ سَلَلَنَ بِاللَّحْظِ بَيْضًا مَرْهَفَاتٍ جُفُونُهُنَّ جُفُونُ
وَحُدُودٍ لِلدَّمْعِ فِيهَا خُدُودُ وَعُيُونٍ قَدْ فَاضَ مِنْهَا عُيُونُ

(١) في فوات الوفيات .

وقال أيضاً :

حَبَّذا مُتَمِّعُ الشَّبَابِ يُهْ ذَرُّ فِي حُبِّهَا خَلِيعُ الْعِذَارِ
إِذْ يَذَاتِ الْخَمَارِ أُمْتَعُ كَلِمَى وَيَذَاتِ الْخِمَارِ أَلْهُوَ نَهَارِ
وَالْعَوَانِي لَا عَنَ وَصَالٍ غَوَانٍ وَالْجَوَارِي إِلَى جَوَارِي جَوَارِي

تشبيب عمر بن أبي ربيعة :

كانت عائشة ابنة طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر ، مديدة الجسم مكتنزة اللحم ، على جانب وافر من الجمال ، حسنة الصورة ، وفي خُلُقها أُنْفَةٌ وعِزَّةٌ وصِرامَةٌ ، حتَّى أنَّ أباهِيرةَ رآها يوماً فسَبَّحَ وقال : كأنَّها من الحور .

وقد رَوَى أبو الحسن المدائني ، عن عمر وأبي طارق بن المبارك ، أنَّ عمر بن أبي ربيعة

قال يشبَّبُ بمائِسة ابنة طلحة :

أصبح القلبُ في الخيالِ رهيناً مقصداً يوم فارق الظاعنينِ
لم يرُ غنى إلا الفتاةُ وإلا دمعها في الرَّداءِ سحّاً سخيفاً
عجَّلَتْ حَمَّةُ الفراقِ عَلَيْنَا برحيلٍ ولم تخف أن تبيناً
أنتِ أهوى العبادِ قُرْباً ووُدّاً لو تَوَاتَيْنَ عاشقاً محزوناً
قاده الطَّرْفُ يوم مرَّ إلى الحية نـ جهاراً ولم يخف أن يحيناً
وجلاً برد بركة جندي ضوء وجهه يضيء للناظريناً
فإذا ظُبية تراعى نعاجاً ومهاً بهج النَّاظر عينا
قلتُ : من أنتم ؟ فصَدَّتْ وقالت أُميدٌ سؤا لك العالمينَا ؟
قلتُ : بالله ذي الجلالة لَمَّا إذ تَبَلَّتِ الفؤادَ أن تصدقينَا
أى من تجمعُ المواسمُ أنتم فأينى لنا ولا تكذِبنَا

نحن من ساكني العراق وكُنَّا قَبْلَهَا قَاطِنِينَ مَكَّةَ حِينَا
 قد صدقناك أن سألتَ فنُ أَزِ تِ عَسَى أَنْ يَجُرَّ شَأْنُ شَوْوَنَا
 قد نرى أَنَّنَا عرفناكَ بِالنَّعَمِ تِ نَظُنُّ وَمَا قَتَلْنَا يَقِينَا
 بِسَوَادِ الثَّيْتَيْنِ وَتُغَرِّ قَدْ زَاهُ لِنَظَرِ مُسْتَبِينَا
 فكانت عائشة تقول : والله ما قلتُ له هذا وما كلمته قط .

وأبناؤنا أبو الحسن عبد الله بن قائد قال : دخلت عائشة بنت طلحة بمكة على الوليد بن عبد الملك فخدمته وقالت : يا أمير المؤمنين ، مُرُّ لِي بِأَعْوَانٍ ، فَصَيِّرْ إِلَيْهَا قَوْمًا يَكُونُونَ مَعَهَا ، فَحَجَّتْ وَمَعَهَا سِتُونَ بَنِيًّا عَلَيْهَا الْهُوَادِجُ وَالرَّحَائِلُ .

صُبْحُ الْمَشِيبِ يَدُلُّ عَلَى لَيْلِ الشَّبَابِ ^(١) :

قال الأمير أسامة بن منقذ :

قَالُوا نِهَاهُ الْأَرْبَعُونَ عَنِ الصَّبَا وَأَخُو الْمَشِيبِ يَجُوزُ ثَمَّةٌ يَهْتَدِي
 كَمْ حَارَ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ ، فَدَلَّاهُ صُبْحُ الْمَشِيبِ عَلَى الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
 وَإِذَا عَدَدْتَ سِنِيَّ ثُمَّ تَقْصِهَا وَمَنْ الْهَمُومُ فَتِلْكَ سَاعَةٌ مَوْلَدِي

الشاعر الغزال ^(٢) :

من روائع البيان ما حكاه ابن حيان ، من أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني ، وجّه شاعره الغزال ، إلى ملك الروم ، فأعجب الملك حديثه لما حواه من رقة المعاني وخف على قلبه ما احتواه من دقة الباني ، وسرّ به سروراً عظيماً ، ونال من لدنه ودّاً وتكريماً ، حتى إنه مال إليه ، وقرّبهُ لديه ، فطلب منه منادمته ، إلا أنه امتنع لما أدرك جليلة الأمر معتذراً بتحريم الخمر .

(٢) في فتح الطيب ج ١ ص ٤٥١ .

(١) في خلاصة الأثر ج ٣ ص ٢٦ .

فلما أن كان يوماً جالساً عنده، إذ خرجت زوجة الملك وعليها زينتها. ووجهها جميل مشرق، كأنها الشمس الطالمة حسناً وضياءاً، فما لبث الغزالُ لا يميل طرفه عنها شغفاً يباهر ما استرعاه منها، وجعل الملك يحدّثه وهو لا يحدّثه. فانكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله. فقال له: عرفته أُنّي قد بهرنى من حسن هذه الملكة ما قطعنى عن حديثه، فإنى لم أَر قط مثلاً. وأخذ فى وصفها وما شاهده من عجيب جمالها ودلالها، حتى لكانما شوقته إلى لقاء الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك لملك الروم، زاد إعجابه بالشاعر الغزال. كما سرّت الملكة بوصفه لها.

غزالٌ قد غزا قلبي^(١):

فى كتاب «المطرب» حكى أبو الخطاب بن دحية أن الغزال، ومهرة اسمه «غزال» أرسل إلى بلاد الجوس، وقد قارب المحسين أو تزيد، وقد وخطه الشيبُ ولكنه كان مجتمع الأشدّ، ضليع الجسم، قسيماً وسيماً، فسألته يوماً زوجة الملك، واسمها (تودُ) عن سنّه. فقال مداعباً: عشرون سنة. فقالت: وما هذا الشيبُ؟ فقال: وما نكرين من هذا؟ ألم ترى قط مهرأً ينتج وهو أشهبُ؟ فأعجبت بقوله، وقال فى ذلك:

كَلَّفَتْ يَاقَلْبِي هَوًى مُتَعِباً	غَالِبَتْ مِنْهُ الضَّيْقُ مِنَ الْأَغْلَبَا
إِنِّى تَمَلَّقْتُ مَجُوسِيَّةً	تَأْتِي لَشَمْسِ الْحُسْنِ أَنْ تَغْرُبَا
أَقْصَى بِلَادِ اللَّهِ فِى حَيْثُ لَا	يُلْفَى إِلَيْهِ ذَاهِبٌ مَذْهَبَا
يَا تَوَدُّ يَا وَرَدَ الشَّبَابِ الَّذِى	تُطْلِعُ مِنْ أَرْزَارِهَا الْكُوكَبَا
يَا بَابِى الشَّخْصُ الَّذِى لَا أَرَى	أَحْلَى عَلَى قَلْبِى وَلَا أَعْذَبَا
إِنْ قُلْتُ يَوْمَاً إِنَّ عَيْنِى رَأَتْ	مُشَبَّهَةً لَمْ أَعُدْ أَنْ أَكْذَبَا
قَالَتْ: أَرَى (فَوَدَيْهِ) قَدْ نَوَّرَا	دُعَابَةً تُوجِبُ أَبْ أَدْعَبَا

قلت لها : ما باله ... إنه قد يُنتج المهرُ كذا أُمهياً
 فاستضحكت عجباً بقولي لها وإنما قلت لَكى تعجباً
 قال : ولما فهمها - الترجمان - شعر « غزال » ضحكت، وأمرته بالخضاب ففدا عليها،
 وقد اختضب وقال :

بَكَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِي فَكَأَنَّ ذَاكَ أَعَادَنِي لِشَبَابِي
 مَا الشَّيْبُ عِنْدِي وَالْخِضَابُ لَوَاصِفٍ إِلَّا كَشَمْسٍ جَلَّتْ بِضْيَابِ
 تَخْفَى قَلِيلاً ثُمَّ يُقْشَعُهَا الصَّبَا فَيَصِيرُ مَا سَتَرْتُ بِهِ لِنَهَابِ
 لَا تُنْكِرِي وَضَحَ الشَّيْبِ فَإِنَّمَا هُوَ زَهْرَةُ الْأَفْهَامِ وَالْأَلْبَابِ
 فَلَدَى مَا تَهْوِينَ مِنْ زَهْوِ الصَّبَا وَطَلَاوَةِ الْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ

غرام أم جنون :

من الشعر الرائع ما امتاز به الشاعر أبو الحسن مروان بن عثمان وقد كان يهيم بوصف
 محبوبته ، ولم يعين لها اسماً - حتى لا يشهر بها في التشبيب ، ولكيلا يعرفها عند العام ،
 إلا لمن لمس ودادها من الخاص ، وفي الأبيات التي يناجها بها معانٍ قد جمع فيها حسن التعبير ،
 سحرًا حللاً . وكان عفيفاً في دقة نظمه ، وصفاء تعبيره ، فقال :

تَمَكَّنَ مِنِّي السَّهْمُ حَتَّى كَأَنِّي تَوَهَّمُ مَعْنَى فِي خَفِيٍّ سُؤَالِ
 وَلَوْ سَاحَتُ عَيْنَاهُ عَيْنِي فِي الْكَرَى لِأَشْكَلَ مِنْ طُفِيفِ الْخِيَالِ خِيَالِي
 سَمَحْتُ بِرُوحِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ وَجَدْتُ بِقَلْبِي وَهُوَ عِنْدِي غَالِي
 وَقَدْ خِفْتُ أَنْ تَقْضَى عَلَيَّ مَنِيَّتِي وَلَمْ أَقِضْ أَوْطَارِي بِيَوْمٍ وَصَالِ
 وَهَوْنٌ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنَّهُ صَدُودُ دَلَالٍ لِاصْدُودِ مَلَالِ
 فَلَوْ كَانَ ذَاكَ الصَّدُّ مِنْهُ مَلَالَةٌ شَدَدْتُ عَنْ الدُّنْيَا مَطَى رَحَالِي

ثمّ مالبث أن استرسل في مواجيدته ، واستلهم مشاعر أناسيده . فقال :

ما بال قلبك يستبين أبه غرام أم جنون
 برّح الخفاء بما تجنّ فأذهب الشكّ اليقين
 حتّى مشى بين الجوا نح والضلوع هوّى ذفين
 وإلى متى قلب التّسليم في يد البلوى رهين
 شخّصت له فيك العيوى ن وقُسمت فيك الظُّنون
 وسلبت الباب الورى بلواظٍ فيها فتون
 وقوام أغصان الريا ض وأين تدركك الفُصون
 الحسنُ في الأغصان فنّ وهو في هذا فنون
 من أين للأغصان ذا لك الحسنُ والسّحرُ المبين ؟
 أم ذلك الورْدُ الجيّن بحدّه والياسين ؟

سلعوس وسلعسة^(١) :

قال إبراهيم بن المهديّ : كنت يوماً بحضرة المأمون ، فقالت لي « عريب » على سبيل
 العبث : ياسلعوس . فقلت :

أما لعريب أن ترى غير سلعسة فكوني كما أنت ، تكوني كمؤنسة
 فقال المأمون على الفور :

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن هنالك شكّ أن ذلك وسوسة

قال إبراهيم : فعجبت من فطنة المأمون . وقلت :

كذا - والله - يأمر المؤمنين قدّرت ، وإيّاها أردت !

عاتكة بنت معاوية :

حدثني الكُراني قال : حدثني العمري عن الهيثم بن عديّ - قال : حدثنا صالح ابن حسان - قال : وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف بن المرزبان - قال : حدثني محمد ابن عمر - قال : حدثني محمد بن السريّ - قال : حدثنا هشام بن الكلبي عن أبيه يزيد ، واللفظ لصالح بن حسان ، وخبره أتم . قال : حجّت عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان - فزلت من مكة بذي طوى ، فبينما هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ واتقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرت جواربها فرفعن السّتر وهي جالسة في مجلسها ، عليها شُفوف لها ، تنظر إلى الطريق ، إذ مرّ بها أبو دهبيل الجمحيّ - وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً . فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها ، وهي غافلة عنه ، فلما فطنت له سترت وجهها ، وأمرت بطرح السّتر . وشتّمته ، فقال أبو دهبيل :

إني دعاني الحين فافتادني حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنة إذ سبّني مذبراً مستترا عني بجلباب
سبحان من أوقعها حسرة صبت على القلب بأوصاب
يدود عنها إن تطلبتها أب لها ليس يوهاب
أحلبها قصرًا منيع الذرى يحمي بأبواب وحجاب

وقال أيضاً :

طال ليلى وبث كالمحزون وملئت الثواء في جيرون
وأطلت المقام بالشام حتى ظن أهلي مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جمل كبكاء القرين إثر القرين
وهي زهراء مثل لؤلؤة الفواص ميزت من جوهر مكنون
وإذا ما نسبتهما لم تحبدها في سناء من الكارم دون
ثم خاصرتّها إلى القبة الخفض وراء تمشي في مرمر مسنون

قُبَّةٌ مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونٍ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَا بَ وَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سَقْمِي وَتَقَلَّبْتُ كَيْفَاتِي فِي فُنُونٍ
لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ هَوَى طَارَ نَوَى أَمْ بَرَانِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُنُونِ

وصيفة مهدوية في مجلس ابن صمادح :

قال ابن بسّام^(١) : كان المُنْتَصِمُ بْنُ صَمَادِحَ ، يوماً مع ندمائه . فأبرزَ لهم وصيفةً مهدويةً مُتَصَرِّفَةً في أنواع اللَّعِبِ المَطْرَبِ مِنَ الدُّكِّ . وحضر أيضاً هُناكَ لَاعِبٌ مِصْرِيٌّ سَاحِرٌ ، فكان لهُمُ حَسَفًا ، فارتَجَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَدَّادِ :

كَذَا فَلْتَلُحْ قَمَرًا زَاهِرًا وَتَجْنِي الْهَوَى نَاضِرًا
وَسَيِّبُكَ سَيِّبُ نَدَى مُغْدِقٍ أَقَامَ لَنَا هَامِيًا هَامِرًا
وَبَانَ لِيَوْمِكَ ذَا رَوْنَقٍ مُنِيرًا كَنُورِ الصُّحَى بَاهِرًا
صَبَاحَ اضْطَبَّحْنَا بِإِسْفَارِهِ لَحْظُنَا مُحْيَا الْعَلَا سَافِرًا
وَأُطْلِمَتْ فِيهِ نَجْمَ الْكُؤُوسِ فَا زَالَ كَوْكُبُهَا زَاهِرًا
وَأَسْمَعْتَنَا لَاحِنًا فَاتِنًا وَأَحْضَرْتَنَا لَاعِبًا سَاحِرًا
وَتَنَاهَ ثَابِتٍ لَالْمَايَةِ دَقَائِقُ تَنْثِي الْحِجَا حَازِرًا
وَفِي سَوْرَةِ الرَّاحِ مِنْ سِحْرِهِ خَوَاطِرُ ، دَلَهَتْ الْخَاطِرَا
إِذَا وَرَدَ اللَّحْظُ أَثْنَاءَهَا فَمَا الْوَهْمُ عَنْ وَرْدِهَا صَادِرًا
وَمِنْ حَسَنِ دَهْرِكَ إِيدَاعِهِ فَمَا انْفَكَ عَارِضُهَا مَاطِرًا
وَسَعْدُكَ يَجْتَلِبُ الْغُرَبَاتِ فَيَجْمَلُ غَائِبَهَا حَاضِرًا

وصف جارية المنذر إلى أنوشروان :

أهدى المنذرُ الأكبر^(١) إلى أنوشروانَ ، جاريةً كان أصحابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شمّر النسائي ، وكتب إلى أنوشروانَ يصفها فقال :

إني قد وجهتُ إلى الملك جاريةً مُعتدلةَ الخلقِ ، نقيّةَ اللونِ والثّغر ، بيضاءَ قمرًا ، وطفاءَ كحلًا ، دَعَجَاءَ عَيْنًا ، قَنَوَاءَ شَمَاءَ ، بَرَجَاءَ زَجَاءَ ، أَسِيلَةَ الْخَدِّ ، فَهِيَّةَ الْقَبْلِ ، جَنَلَةَ الشَّعْرِ ، عَظِيمَةَ الْهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى الْقُرْطِ ، عَنِيَّاءَ عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كاعِبَ الثَّدْيِ ، ضَخْمَةَ مِشَاشِ النِّكَبِ وَالْعَضْدِ ، حَسَنَةَ الْمِصَمِّ ، لَطِيفَةَ الْكَفِّ ، سَبْطَةَ الْبَنَانِ ، ضَامِرَةَ الْبَطْنِ ، خَمِيصَةَ الْخِصْرِ ، غَرَّتِي الْوِشَاحِ ، رَدَاحَ الْإِقْبَالِ ، رَابِيَةَ الْكَفْلِ ، لَفَاءَ الْفَخْدَيْنِ ، رَبَاءَ الرِّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ الْمَاكَمَتَيْنِ ، مُفَعَّمَةَ السَّاقِ ، مُشَبَّعَةَ الْخُلْخَالِ ، لَطِيفَةَ الْكَعْبِ وَالْقَدَمِ ، قُطُوفَ الْمَشْيِ ، مَكْسَالَ الضُّحَى ، بَصَّةَ الْمَتَجَرِّدِ . وَهِيَ سَمُوعٌ لِلْسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءَ وَلَا سَفْعَاءَ ، دَقِيقَةَ الْأَنْفِ ، عَزِيزَةَ النَّفْسِ ، لَمْ تُغَدِّ فِي بُؤْسٍ ، رَزِينَةً حَلِيمَةً ، رَكِينَةً ، كَرِيمَةً الْخَالِ ، تَقْتَصِرُ عَلَى نَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَتُسْتَعْنِي بِفَصِيلَتِهَا دُونَ جُمَاعِ قَبِيلِهَا ، قَدْ أَحْكَمَتْهَا الْأُمُورُ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلُ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ، صَنَاعَ الْكَفَّيْنِ ، قَطِيعَةَ اللِّسَانِ ، رَهْوَةَ الصَّوْتِ ، سَاكِنَةً ، تَزِينُ الْوَلَى ، وَتَشِينُ الْعَدُوَّ .

إِنْ أُرْدَمَهَا اشْتَهَتْ ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا انْتَهَتْ .

فارس عربيّ جميل :

حكى محمد بن إسحاق^(٢) قال : كنت مشغولاً بأخبار العرب وأشعارها وأذكر أنها من أغرب الأشعار . وأميل إلى ذكر أيام العرب ، وأحبُّ أن أسمعها وأجمعها ، فنزل علينا في بعض الأيام فتیان من بني تَمْلَكَةَ ، فذهبتُ إليهم لأسمع من أشعارهم وأجمع من أخبارهم ،

فمرت بفناء خيمته ، وإذا غلامٌ ما رأيتُ مثله قَطَّ حُسْنًا وجمالًا . له ذؤابتان كأنهما
السَّحْبُ المنظومُ، تحت ذلك وجهٌ كالقمر ليلة تَمَّة . وعنده امرأة أحسنُ منه وأجلُّ، وأكثرُ
ما أسمع من كلامها (يا بُنَيَّ) ، وهو يَبْتَسِمُ لها وقد غلب عليه الحياء كأنه كاعبٌ
عذراء، ولا يَرُدُّ لها جوابًا من الاستحياء . فاستَحَسَنْتُ ما رأيتُ منهما، فدنوت من الحياء،
فَبَصُرَتِ المرأةُ بي . ثم قالت لي : يا حَضْرِي ، ما حاجتك ؟ . فقات : لا حاجة لي إلا الذي
استَحَسَنْتُ مِنْكَ وَمِنْ هذا الغلام . فقالت : أتحبُّ أن أسمعَكَ شيئًا من خبره ، وهو
خيرُ لك من نظره ؟ . فقلت لها : هاتِي لله دَرُّ أيبك . فقالت لي : إني حملته تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ،
فكُنَّا في عَيْشِ ضَنْكٍ كَدِيرٍ ، وَرِزْقٍ نَزَرٍ حَقِيرٍ ، حَتَّى إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أضعه ، فوضعتُه -
بِحَمْدِ اللَّهِ خَلَقًا سَوِيًّا ، فلا وأَيْبِكَ ما هُوَ إِلَّا أَنْ وضعته حَتَّى مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا ، وَأَجْزَلَ
وسَهْلَ وتَفَضَّلَ ، بِيَمْنٍ وَجْهٍ وسعادة طَلَعَتْه . فَسَمَّيْتُهُ (مَالِكًا) ثُمَّ أرضعته حَوْلَيْنِ
كاملَيْنِ . فلما استتمَّ الرِّضَاعُ ، نَقَلْتُهُ مِنَ الْمَهْدِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَنَشَأَ بَيْنَنَا كَأَنَّهُ شِبْلُ
أَسَدٍ ، نَقِيهِ بَرْدَ الشِّتَاءِ وحر الصَّيْفِ . فلما مرَّ عليه خَمْسَةُ أعوامٍ ، دفعته إلى مُؤَدِّبٍ
يُكَلِّمُهُ الْقُرْآنَ ، فَقَرَأَهُ وتَلَاهُ ، وَنَظَّمَ الشَّعْرَ ورواه ، حَتَّى أَتَمَّ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، فَأَرْكَبَتْهُ
عِتَاقُ الْخَيْلِ فَتَفَرَّسَ ، وَحَمَلَ السَّلَاحَ فَتَشَرَّسَ ، ومشى بَيْنَ بُيُوتِ الْحَيِّ ، وَأَصْفَى
إِلَى صَوْتِ الصَّارِخِ ، وَأَنَا خَائِفَةٌ عَلَيْهِ وَجِلَةٌ مُشْفِقَةٌ مِنَ الْأَلْسِنَةِ أَنْ تَشِينَهُ ، وَمِنَ الْأَحْظَافِ
أَنْ تَعِينَهُ ، حَتَّى شَاءَ اللَّهُ أَنْ تُصَيِّبَنَا سِنُونَ أَجْدَبَتْ بِلَادَنَا ، وَكَادَ يَهْلِكُ كِبَارُنَا وَأَطْفَالُنَا ،
نَخْرَجُنَا إِلَى مَنَاهِلٍ غَيْرِ مَنَاهِلِنَا ، وَنَزَلْنَا فِي غَيْرِ مَنَازِلِنَا ، نَخْرُجُ أَصْحَابُنَا لَطَلَبِ ثَارِهِمْ ،
وَحَلَفَهُ عَنِ الرُّكُوبِ مَعَهُمْ وَجَعَّ أَصَابَهُ ، فلا وأَيْبِكَ ما عَلِمْنَا حَتَّى دَهَمَتْنَا الْخَيْلُ
مِنَ الْعَدُوِّ ، وَلَمْ يَتَوَلَّنَا عَقْلٌ ، ولا هَدُونَا . فَا كَانَ إِلَّا هَنِيئَةٌ حَتَّى حَازُوا عَلَى الْأَمْوَالِ ،
وَانْهَزَمَ الرِّجَالُ ، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يَسْأَلُنِي عَنِ الصَّوْتِ ، وَأَنَا أَكَاتِمُهُ خِيفَةً عَلَيْهِ .
حَتَّى عَلَتْ الْأَصْوَاتُ ، وَبَرَزَتِ الْخَبَاتُ . فلما سمعَ ذلك ثار كما يثور اللَّيْثُ الْمُنْضَبُ ،
وَأَسْرَجَ فَرَسَهُ ، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَيْهِ لَأْمَةً حَرِيَّةً ، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَاعْتَقَلَ رُمْحَهُ . ثُمَّ لَحِقَ الْعَدُوَّ ،

فطمنَ أدنى فارس منهم فأرداه قتيلاً ، فرجعوا إليه ، فأروهُ ولدًا لطيفاً ، صبيّاً ظريفاً ،
فمطفؤا عليه . . . وتلقَّاهمُ ضرباً بالسَّيفِ ، وطعنًا بالرُّمَحِ ، حتَّى هلكَ أكثرُهم
وفرَّ الباقيون !

غَنِيَّةُ : شَحَّاذَةٌ :

لو كان بالصبر الجميل ملاذهُ	ماسحٌ وابلٌ دمعهُ ورذادُهُ
مازال جيشُ الحبِّ يغزو قلبهُ	حتَّى وهى وتقطَّعتْ أفلاذُهُ
لم يبقَ فيه من النرام بقيَّةٌ	إلا رسيسٌ يحتويه جُذادُهُ
من كان يرغبُ في السَّلامةِ فليكنْ	أبدًا من الحدقِ المراضِ عيادُهُ
لا تحذعنك بالفتور فإنه	نظرهُ يضرُّ بقلبك استلذادُهُ
يا أيُّها الرِّشاشُ الذي من طرفه	سهمٌ إلى حبِّ القلوبِ نفاذُهُ
دُرٌّ يلوحُ بفيك : مَنْ نَظَّامُهُ ؟	خَمَرٌ يَجُولُ عَلَيْهِ : مَنْ نَبَّادُهُ
وقناه ذاك القَدَّ : كيف تقوَّمتْ ؟	وسنانُ ذاك اللَّحظِ : ما فوَّلاذُهُ ؟
رفقًا بجسمك لا يذوبُ فإننى	أخشى بأنَّ يجفُو عليه لاَذُهُ
هاروتُ يَمَجْزُ من مواقعِ سِحْرِهِ	وهو الإمام ، فمن تُرى أستاذُهُ
تالله ما علقتُ محاسنك امرأً	إلا وعزَّ على الورى استنفاذُهُ
أغريتُ حُبَّكَ بالقلوبِ فاذعنْتَ	طوعاً وقد أودى بها استخوادُهُ
مالى أتيتُ الحظَّ من أبوابِهِ	جَهْدِي ، فدامَ تقورُهُ ولِوَادُهُ
إياكَ مِنْ طمعِ النِّى ، فعزيزُهُ	كَذَلِيلُهُ ، وَغَنِيَّةُ : شَحَّاذُهُ

العيون

لأعذب العين :

قال الشاعر^(١) ابن الصِّفدى يصف العيون :

هى التى توقَعُ القلب فى التعب ، وتوفّر نصيبه من أسهم الهمِّ والنَّصب ، وترميه بدواهى
الهوان ودواهى الهوى ، وتسلمه إلى مكابدة الغرام ومكابدة الجوى ، لوعُذِّبَتْ بِطُولِ السَّهْرِ
وكثرةِ الدَّموعِ وبفيض الشُّثونِ وعدمِ الهجوع ، وبمسامرة الأحران والفسكر ، وبمراقبة
النجوم إلى السَّحَرِ ، وبعدم الإغفاء وطول السَّهْرِ - لكان استحقاقها وجودَ جودِ الدمع وإن
طاما ، وعدمَ منال المنام وإن نما :

لأعذبَ العينَ غيرَ مُفكِّرٍ فيما جرتْ بالدمعِ أو سالتْ دما
ولأهجرنَّ من الرُّقادِ لذيذهُ حتى يعودَ على الجفونِ محرّما
هى أوقعتنى فى حبالٍ لفتنةٍ لو لم تكنْ نظرتْ لكنتُ مسلّما
سفكتْ دمي فلاسفنحْ دموعها وهى التى بدأتْ وكانتْ أظلمّا

ولعلَّ موجب هذه الواعظة ، والألفاظ التى هى بالتحذير لافظة أنى خرجت فى بعض الأيام
متفرّجاً وسارحاً ، وجائلاً بطرفى فى الرياض وسائحاً ، وصحبى صديق لى فى المحبة صادق ،
ورفيق لى فيما أرومُ موافق ، قد ملك كلَّ حسنٍ ولطافة ، وجمع كلَّ حذقٍ وظرافة ،
ينصبُّ لخدمتى لا يعمل ولا يسأم ، ويتمب فى مرّضاتى لا يكل ولا يندم ، ويجتهد فى موافقتى
لا يمن ولا ينم ، ويحسنُ مرافقتى لا يندم ولا يندم ، قد اتخذته جُهينة أخبارى ، وكنزاً
لخزائن أمرارى ، لا أستطيع مفارقة وجهه الجميل ، وهو عندى كما قيل :

برُوحى مَنْ لا أستطيعُ فراقه ومن هو أوفى من أخى وشقيقى
إذا غاب عني لم أزل متلفّئاً أدورُ بعينى نحو كلِّ طريقِ

معانى لفظ العين :

للعلمة أحمد السجاعي - المتوفى سنة ١١٩٧ هـ - قصيدة رائعة فى معانى لفظ العين ،
وهى فى فنّها غريبة - قد احتوت على معانى فى لفظ (عين) . وقد جعل حروف اسمه فى أوائل
أبياتها بالترتيب . وهذه هى القصيدة كما نقلت من خط الشيخ مصطفى البدرى فى كراسة
« مجموعة لنوية » :

وقد وضعنا^(١) تفسير كل لفظ عين فيها بين (قوسين) بـمده :

أيا ظبيّ الفلّا وكحيلَ عَيْنٍ ويا بدرَ الدّجى وضياءِ عين
(الشمس)

حُميتَ من المكّارِ ياغزّالًا حوى كلّ السّكّالِ بدونِ عين
(العيب)

ملكْتَ القلبَ منىّ يا حبيبي وحقّ المصطفىّ المجرىّ لَمَين
(الماء)

دعانا للهداية نِعم طه رسولٌ قد أبانَ لِطُرُقِ عَيْنٍ
(حقيقة الثبلة)

أمينٌ سيّدٌ ما فيه شكُّ به تُهدى الأنام بكلِّ عَيْنٍ
(الناحية)

له ذاتٌ خلتْ من كلّ سوءٍ وقلبٌ قد خلا من شَيْنِ عَيْنٍ
(الرياء)

مما فوقَ السّماءِ ونالَ قُربًا وخطبَ ربّه وَحَظى بِمَينٍ
(النظر)

جميلُ النَّفسِ والأفعالِ قطعًا صفيّ خالصٌ من قُبْحِ عَيْنٍ
(الميل)

(١) وضع تفسير كل لفظ عين بين (قوسين) المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا وذلك بالداد الآخر .

- أَذَاعَ الْخَيْرَ فِينَا كُلَّ وَقْتٍ وَعَوَّذَ أُمَّةً مِنْ شَرِّ عَيْنٍ
(إصابة العين)
- عَلَا رَتَبًا فَلَيْسَ لَهَا انْتِهَاءٌ وَأَظْهَرَ دِينَهُ لَخِيَارِ عَيْنٍ
(الجماعة)
- يُقِيمُ شَرِيعَةً غَرَاءَ فِينَا .. كَمْ قَدْ هَدَى مِنْ كُلِّ عَيْنٍ
(الإنسان)
- رَوْوْفٌ بِالْعِبَادِ رَحِيمٌ قَلْبٍ عَظِيمُ الْقَدْرِ سَيِّدُ كُلِّ عَيْنٍ
(الكبير)
- كَرِيمٌ مُنْتَقًى ، بِحَرِّ الْعَطَايَا فَكَمْ مَنَحَ الْأَنَامَ جَزِيلَ عَيْنٍ
(المال)
- عَظِيمٌ مُجْتَبًى قَدْ ظَلَمَتْهُ لَدَى حَرِّ عَظَائِمُ كُلِّ عَيْنٍ
(السحاب)
- خَلِيلُ اللَّهِ أَحْمَدُ ذُو كَمَالٍ بِحَيْرِ النَّاسِ مِنْ لَحْظٍ بِعَيْنٍ
(المطر)
- رَحِيمٌ بِالْعِبَادِ سَرِيعُ بَاسٍ عَلَى قَوْمٍ لَثَامٍ مِثْلَ عَيْنٍ
(الطائر)
- كَبِيرُ الْقَدْرِ فِي الدَّارَيْنِ حَقًّا مُنِيتِ النَّاسِ مِنْ حَرٍّ لَمِينٍ
(شعاع الشمس)
- رَسُولُ اللَّهِ أَنْتَ لَنَا مَلَاذٌ لَنَا فِيكَ الرَّجَاءُ يَنْسَلُ عَيْنٍ
(الخيار)
- فَكَمْ صَرَفَتْ عَنَّا مِنْ كُرُوبٍ بِدُنْيَا ثُمَّ أُخْرَى عَمَدَ عَيْنٍ
(الجد واليقين)
- وَخَلَقَكَ مَبْدَأُ الْأَشْيَاءِ حَقًّا حَبِيبِي أَنْتَ أَوَّلُ كُلِّ عَيْنٍ
(الشيء)

عليك الله صلى مع سلام أصولك مثل ذا من هم كعين
(الذهب)
وآل ثم أصحاب جميعاً فهم بذلوا لدين كل عين
(الدنيا أو النفس)
وكم قضبوا بسيف الله رأساً من الأعداء . وكم قهروا لعين
(الشديد)
وكم أحيا بهم ربى علوماً منيية ومنها ذات عين
(الحضور)
كذا أتباعهم ما قال عبد : أيا ظبي الفلا وكحيل عين
(الباصرة)

وصف العين وأسماء أجزائها :

في أول كتاب « سحر العيون » : الباب الخامس في وصف العين وأسماء أجزائها
وعيوبها الخلقية وغيرها . قال المؤلف :

اعلم يا نور الأعيان ، وأعز من إنسان عيون الأجفان ، أن - (مقلة العين) في اللغة هي :
الشحمة التي تجمع السواد والبياض ، سُميت بذلك من قولهم : مقلت الرجل في الماء :
إذا غوصته فيه ، وتماقل الرجل في الماء : إذا غاص فيه ، وتماقل الرجلان في الماء : إذا تناوصا
فيه ليعلم أيهما أصبر على الغوص ، فلما كانت - حبة العين غائصة في ماؤها سُميت : المقلة ،
ويقال : ما مقلت عيني مثل فلان : أى : ما نظرت ، قال الشيخ شهاب الدين أحمد الحاجي :

لها عين لها غزل وغزل مكحلة . ولى عين تبأكت
وحاكت في فاعيلها المواضي فيالك مقلة غزلت وحاكت

و (الحدقة) . هي السواد الأعظم (في العين) سُميت بذلك لأن البياض مُحَدِّقُ بها ،

ويقالُ : أَحَدَقَ الْقَوْمُ بِهِ وَحَدَقُوا بِهِ - لَتَتَان - أَى : أَطَافُوا بِهِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ .
وقال الشريف الرضى :

يَا قَلْبُ مَا لَكَ لَا تَفِيْقُ وَقَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ كَيْفَ مَصَارِعُ الْعُشَاقِ ؟
فَتَكْتَبُكَ الْحَدَقُ الْمَرَاضُ وَلَمْ تَزَلْ تُشْجِي الْقُلُوبَ جَنَائِيهِ الْأَحْدَاقِ

(و) (الناظرُ) : السَّوَادُ الْأَصْفَرُ الَّذِي يُبْصِرُ فِيهِ الرَّائِي شَخْصَهُ ، وَالرَّبُّ يَقُولُ : هُوَ مِثْلُهَا ، وَإِنْسَانُهَا ، وَدَوَابُّهَا ، وَنَاطِرُهَا ، وَبَصَرُهَا ، وَضِيئُهَا ، وَغَيْرُهَا وَلُغْبَتُهَا ، وَيُؤَبُّوْهَا ، وَتَمَثَّلُهَا ، وَسَوَادُهَا ، وَحَبُّهَا ، وَمَذَلِكُهَا .

قال ابن مطرفٍ : وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا لِمَوْضِعِ الْبَصَرِ الَّذِي فِي حَاسَّةِ الْبَصَرِ ، وَالْجَمْعُ : نَوَاطِرُ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَى الرَّائِي صُورَةَ نَفْسِهِ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ لَصَفَائِهِ ، وَيَسْتَدَلُّ عَلَى صِحَّةِ الْحَاسَّةِ بِمَا تَحْمِلُ فِيهِ .

(و) (الناظران) - أَيْضًا : عِرْقَانِ فِي الْعَيْنِ يَسْقِيَانِ الْأَنْفَ ، يَقَالُ إِنَّهُ لِمُرْتَفَعُ النَّاطِرَيْنِ ، وَيَقَالُ لِلَّذِي اسْتَحْيَى مِنْ أَمْرِ : خَفَضَ لَهُ نَاطِرِيهِ ، وَالنَّاطِرُ يَجْمَعُ عَلَى : نَوَاطِرُ . قَالَ شَارِحُ كِتَابِ الْفَصِيحِ : نَظَرْتُ لِعَيْنِي وَنَظَرْتُ : انْتَبَهَرْتُ وَتَنَظَّرْتُ .

(و) (نظرتُ) بِمَعْنَى : رَحِمْتُ وَتَوَكَّرْتُ . وَأَنْظَرْتُ الرَّجُلَ : أَخَّرْتُهُ ، وَأَنْظَرْتُهُ : جَمَلْتُهُ بِنَتِظَرْنِي ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (انظرونا) أَى : أَمْهَلُونَا : قَالَ الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينَ الْفَرَاطِي :

يَا قَاتِلِي بِنَوَاطِرِ أَجْفَانِهَا بِسَيُوفِهَا الْأَمْثَالُ فِينَا تُضْرَبُ
قُلُّ لِلْفَزَالِ أَوْ الْفَزَالَةِ إِذْ رَنَتْ أَوْ لَاحَ يَهْرَبُ ذَا ، وَتِلْكَ تَغْيِبُ

(و) (الخالقُ) : هِيَ بَوَاطِنُ الْأَجْفَانِ ، وَاحِدُهَا حَمْلَاقٌ - قَالَ ابْنُ مَطْرَفٍ : هِيَ الَّتِي تَرَاهَا - إِذْ قَلِبْتَ لِلْكَحْلِ - حَمْرَةً . وَقَالَ الزَّيْجِيُّ : الْخَالِقُ : نَوَاحِي الْعَيْنِ ، وَيَقَالُ لِمُؤَخَّرِ الْعَيْنَيْنِ مَائِلِي الصَّدْعَيْنِ : الْحَقِيْقَانِ ، الْوَاحِدُ حَقِيمٌ . وَالْأَشْفَارُ هِيَ حُرُوفُ الْأَجْفَانِ الَّتِي يَنْبُتُ عَلَيْهَا الشَّعْرُ ، وَالوَاحِدُ : شَفْرٌ ، وَمِنْهُ شَفِيرُ الْوَادِي ، وَشَفِيرُ كُلِّ شَيْءٍ حَرْفُهُ .

قال الشيخ جمال الدين بن نَبَاتَةَ :

إِذَا كَانَ شَفْرُ الْعَيْنِ فَوْقَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَا الْأَشْفَارُ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ

و (الأهداب) : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَيْهَا ، وَاحِدُهَا : هُدْبٌ - بضمّ الهاء وسكون الدال المهمله ، قال الشيخ برهان الدين :

أَهْدَابٌ لَحْظُكَ لِلرَّوْيِ شَرَكٌ فَمَنْ أَوْثَقَتْهُ فِيهِمْ لَا يَتَفَلَّتُ
كَيْفَ النِّجَاةُ وَرُمَحٌ قَدْكَ مُشَرَّعٌ؟ كَيْفَ الْخِلَاصُ وَسَيْفٌ لَحْظُكَ مُصَلَّتٌ؟
(المحجر) : ما دار بالعين ، وهو ما يبدو من البرقع والنقاب ، وجمها محاجر ، ويقال :
مَحَجَّرَ - بفتح الميم وكسرهما ، وفتح الجيم وكسرهما أيضاً ، وإنما سُمِّيَ المحجر محجراً لأنه
مفعل من الحجر وهو المنع ، فكأنه مانع عن العين من جميع جهاتها ، ومنه الحجرة
المحيطة بالجدر ، والجمع : الحُجُرَات .

قال الأمير سيف الدين المشد وأجاد :

إِنَّ الْعِيُونَ لَكَ الْحَصُون : قُدِّمَتْهَا شُرُفَاتُهَا ، وَجُفُونُهَا الْأَسْوَارُ
وَكَذَا مَحَاجِرُهَا : الْخَنَادِقُ حَوْلَهَا وَالْحَافِظُونَ بِهَا مُمُّ الْأَنْوَارُ
و (الماق) و (الموق) : هو طرف العين مما يلي الأنف ، وهو خَرَجُ الدمع من العين ،
ولكل عين موقان ، وفي الموق وفي جمعه لفات كثيرة يقال : مَاقٌ - بالهمز ، وجمه آماق ،
وموق - غير مهموز ، وجمه أمواق وأماق ومَاقٍ . والمقية - لُفَةٌ في الماق أيضاً ، والجمع
مُتَقٍ . والماق : مقدمها . وقيل : الموق مؤخر العين ، وماقٌ يُجْمَعُ عَلَى مَوَاقٍ مِثْلُ قَاضٍ
وَقَوَاضٍ . وفي الحديث : « كَانَ يَكْتَحِلُ مِنْ قَبْلِ مَوْقِهِ مَرَّةً وَمِنْ قَبْلِ مَاقِهِ أُخْرَى » .
قال المتنبي يمدح كافور الأخشيدي :

قَوَاصِدُ كَافُورٍ تَوَارَكُ غَيْرُهُ وَمَنْ وَرَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِيَا
فَجَاءَتْ بِهِ إِنْسَانٌ عَيْنِ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وَ (أَمَاقِيَا)
و (الألحاظ) : جمع لحظ ، وهو مؤخر العين الذي يلي الصدغ وجمها لحاظ ، ولواحظ .
فأما اللحظة فهي النظرة وجمها : لحظات في القليل ، واللحظ في الكثير ، ويجوز أن
يجعل موضع اللحظة . يقال : لحظ العين - مثل رأى العين ويقال : لحظ السماء نظره يلحظ
لحظاً فهو لاحظ .

قال شيخ الشيوخ الأنصارى بحماسة :

يا نظرةً قد جَلَتْ لى حُسْنِ طَلْمَتِهِ حَتَّى انْقَضَتْ وَأَدَامَتْنَا عَلَى وَجَلٍ

عَاتَبْتُ إِنْسَانَ عَيْنِي فِي تَسْرُعِهِ فَقَالَ لى : خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ

و(الطرف) : هو مآل بأحد السَّوَادَيْنِ : السَّوَادِ الأعظم ، والسَّوَادِ الأصغر . قال ابن مُطَرَف :

« طَرَفُ الْعَيْنِ تَحْرُكُ أَشْفَارِهَا » ويقال : طَرَفَةُ عَيْنٍ ، وَالْعَيْنُ الْمَطْرُوفَةُ مِنْهُ مَأْخُودٌ ، وَهُوَ أَنْ يُصِيبَ سَوَادُهَا شَيْءٌ فَيَتَأَذَّى صَاحِبُهَا بِهِ ، وَرَبَّمَا أَبْطَلَهَا . وَهِيَ « الطَّرَفَةُ » قَالَ الشَّيْخُ علاء الدين الوداعى :

كَمْ دُمَاءٌ مَطْلُولَةٌ فِي هَوَاهُ وَبِهَا وَرَدُ خَدِّهِ مَطْلُولٌ

وَحَدِيثٌ مِنَ السَّقَامِ صَحِيحٌ قَدْ رَوَاهُ عَنْ طَرَفِهِ مَكْحُولٌ

و (الْقَبْلُ) هُوَ مِيلُ الْحَدَقَةِ فِي النَّظَرِ إِلَى الْأَنْفِ . وَأَنْشَدَ الثَّمَالِيُّ وَقَدْ اسْتَحْسَنَهُ فِي « فقه اللُغَةِ » لَهُ - قَوْلَ ذِي الرِّمَّةِ :

أَشْتَهَى فِي الطَّلَةِ الْقَبْلَا لَا كَثِيرًا يَشْبَهُ الْحَوَلَا

وقال جرير :

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمِجُ دُمَاهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءِ دِجَلَةٍ (أَشْكَلُ)

وقول علاء الدين البديوى :

أَنَا جَدُّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنَّنِي يَا أَرْقَ الْعَيْنَيْنِ عَبْدُ (الْأَمْهَلِ)

وَأَنْشَدَنِي الْمَوْلَى أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ الرَّسَّامُ الْأَزْهَرِيُّ :

رَنْتَ رَمَتْ فَأَصَابَتْ قَلْبِي ، وَأَذَكْتَ لَهْيِي

فَهُوَ الْمَصَابُ بَعَيْنِ (فَهَلَاءِ) وَهِيَ الْمُصِيبَةُ

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة :

وَأَغْنِي كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ يَمِجُّنِي كَأَنَّمَا هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى شَرَطِي

أَجْفَانُهُ السُّودُ مَا تُخْطِئِي إِذَا رَشَقَتْ سَهَامَهَا ، وَسَهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِئِي

وقال علاء الدين الوداعي :

رَمْتَنِي سَوْدُ عَيْنِيهِ فَأَصْمَتَنِي ، وَلَمْ تُبْطِئِ
وَمَا فِي ذَاكَ مِنْ بَدْعٍ سِهَامُ اللَّيْلِ مَا تُخْطِئِ

وقال شهاب الدين الزعفريني :

مَلِيكَ عَلَى الْعِشَاقِ ، سَكَرَانُ طَرَفُهُ
شَكُوتُ إِلَيْهِ أَسْرَ قَلْبِي فِي الْهَوَى
فَلَا عَجَبٌ لِلْحَظِّ مِنْهُ يُمَرِّدُ
فَوَقَعَ لِي : سِحْرُ الْجَفُونِ يُخْلِدُ

وقال بشار بن برد :

يَا مَنْ بَرِيقُ رَيْقِهِ يَحْيِي الْوَرَى
مِنْ سِحْرِ عَيْنَيْكَ الْمَهَاءُ تَعْلَمَتْ
وَبَسَحَرِ عَيْنِيهِ النَّوَاعِسُ تُقْبِلُ
وَكَذَلِكَ الْغَزْلَانُ مِنْهَا تَنْزِلُ

وقال ابن عباد :

وَنَظَرُنْ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ
مَرَضَى يُخَالِطُهَا السَّقَامُ صِحَاحُ
وَلَهُ أَيْضًا :

وَسِنَانُ قَدْ خَدَعَ النَّعَاسُ جُفُونَهُ
مَذْغُضٌ طَرَفًا بِالْحِيَاءِ فَإِنِّي
فَخِي بِعُقْلَتِهِ ذُبُولُ التَّرْجِسِ
مَنْهُ اسْتَحْيَتْ بَأْنَ أَقْبَلُ مُؤْنَسَى

وقال الفرزى :

كَأَنَّما سَوَادُ عَيْنِ مُنَيَّتِي
لَا تُنْكِرُوا مَقَالَتِي تَجَاهِلًا
كَعْبَرِ يَا أَنْفُسَا لَوَّامَةً
مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّهَا لَوَّامَةٌ

وقال الشهاب بن القطان :

شَاقِنِي (مَارِسُ) فُولٍ
وَابْتَنَى التَّعْرِيفُ ، قُلْنَا :
زَهْرُهُ حَاكِي عُيُونِكَ
لَعَنَ اللَّهُ قُرُونَكَ

آفة النظر وغائلته :

وكنت إذا أرسلت طرفك زائراً
رأيت الذي لا كله أنت قادر
ولأبي العباس الصبني :

قم فاسقني بين خفق الداي والمود
كأساً إذا أبصرت في القوم محشماً
نجم الشهود وخفق المود خاطبنا
وله أيضاً :

يقرّ الله عينك يا جفوني
ويا عيني لك البشرى فنامي
رغبت عن الهوى وهربت منه
وله أيضاً :

سقتني لتروى الراح روحاً وحقت
على زجس حيت به فكأنها
وله أيضاً :

إذا ضاق صدري وخفت المدا
فبالله نبليغ ما زنجي
وله أيضاً :

ينيب البدر يوماً ثم يبدو
إذا لم تطلع الإثنين عصراً
وله أيضاً :

ولقد مررت على الظباء وصادني
تذذت لواحظه إلى بأسهم
ظي وعهدى بالظباء تصاد
أغراضها الأرواح والأجساد

وله أيضا :

صَبَّ المِداد وما تَعَمَّدَ صَبَّه
يا من يُوَثِّرُ حَبْرَه في ثوبنا
فتورّد الخد البديع الأزهرُ
تأثير لحظك في فؤادى أكثر

وله أيضا :

من شاء عيشاً رخيئاً يستفيد به
فليَنظُرُنْ إلى ما فوقه أدباً
في دينه ثمّ في دنياه إقبالا
ولينظرون إلى من دونه مالا

وله أيضا :

أدرك بقيّة نفس روحها رَمَقَ
وإنّما سَلَت منها بقيّتها
وقد أذابت هموم النفس أكثرها
لأنّها خفيت ضعفاً فلم ترها

وله أيضا :

ألا حلّ بي عجب عجب
رأيت الهلال على وجه من
تقاصر وصفى عن كنهه
وقال آخر في شوق إلى حبيب :

إن غبت عن ناظري فأنتم
والظنّ أن لا تخون عهدي
في القلب يا غاية التمتي
لا خيب الله فيك ظنّي

تعدد الزوجات والأزواج

هند وأبو سفيان^(١) :

كان مسافر بن عمرو بن أمية ، يهوى هندًا بنت عُتْبَةَ بن ربيعة ، وله فيها شعر يغنى به . فلما فارقت زوجها الفاكه بن المغيرة ، خطبها إلى أبيها ، فلم ترض ثروته وماله ، فوفد على « النعمان » يستعينه على أمره ، ثم عاد فكان أول من لقيه أبو سفيان ، وعلم منه أنه تزوج هندًا .

وكان مسافر من أحسن فتيان قريش جمالًا وشعرًا وسخاء ، وقد عشق هندًا وعشقتة ، فأتهم بها . وقال بعض الرواة : إنها حملت منه ، فلما بان حملها أو كاد ، قالت له : اخرج . فخرج حتى أتى الحيرة ، وأقام عند عمرو بن هند يناديه ، ثم أقبل أبو سفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ولقيه مسافر ، فسأله عن قريش ، فكان مما قال له أنه تزوج من هند بنت عتبة . فدخله من ذلك ما اعتلّ معه ، حتى استسقى بطنه .

وروى معروف بن خربوذ أن مسافرًا قال في ذلك :

ألا إن هندًا أصبحت منك محرّمًا وأصبحت من أدنى حموتها رَحِمِي
وأصبحت كالقَمُورِ جفنٍ سلاحه يقلبُ بالكفين قوسًا وأسهما

حكمة التعدّد في الإسلام^(٢) :

إنه لمعلوم أن جميع كلام النبوة شرح للقرآن . قال تعالى : « وأنزلنا إليك الذِّكْرَ لُتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » وإذا تتبعنا القرآن العظيم لم نجد يدكر المؤمنين إلّا ومعهم المؤمنات ،

(٢) في كتاب علم الدين ج ١ لصاحبه على مبارك باشا .

(١) الأغاني ج ٨ .

ولا المسلمين إِلَّا ومعهم المسلمات ، ولا الصَّائِغِينَ إِلَّا ومعهم الصَّائِغَات . قال تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا » وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . وقال تعالى : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِغِينَ وَالصَّائِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا » هو الجنة وما فيها . وهكذا في غير ما آية .

ومن اطلع على موضع ذلك من المصحف الشريف ، فسيقف بنفسه على ما ذكر . فالكتاب والسنة والإجماع على أن للنساء ما للرجال من الثواب ، وعليهن ما عليهم من العقاب ، لافرق بين حرٍّ ورقيق ، ومولى وعتيق .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أيتها امرأة غاب عنها زوجها فحفظت غيبته في نفسها ، وطرحت زينتها ، وقيدت رجلها ، وأقامت الصلاة ؛ فإنها تحشر يوم القيامة عذراء طفلة ، فإن كان زوجها مؤمنًا فهو زوجها في الجنة ، وإن لم يكن زوجها مؤمنًا زوجها الله من الشهداء » . فكيف يتوهم ممن اتصف بالعدل فضلا عن اتصافه بالفضل ، أن يضيع عمل عامل ، أو يحرم الراجي فضله الشامل ؟

وهنا تمرّض مستشرق إنكليزي في سياق حديث رواه المؤلف وقال : لو علمت نساء أوروبا بقولك لأحبين دين الإسلام ، لكن ربما يغمهنّ شيء آخر أشقّ عليهنّ من كلّ شيء ، وأضرّ . . هو اتخاذ الرجل منكم عددًا من الزوجات .

وردّ على المستشرق بأنه لا دخل لتعدد الزوجية ولا لدين النصرانية في إحياء العلوم الأدبية ولا تقدم الفنون والصنائع الدنيوية ، ولو كان الأمر كذلك لما احتاج الأوروبيون إلى اليونان ومن بعدهم من العرب في الوصول إلى ما وصلوا إليه ، فالعرب للأوروبيين في كلّ ما علموه ملاذ ، واحتياجهم إليهم كاحتياج التعلم إلى الأستاذ .

وأما ما كان من أمر تعدد الزوجات فليس هذا خاصاً بالمسلمين؛ بل هو عام لهم ولغيرهم، ولم يمنعه إلا طائفة النصارى فقط، حتى إن من قبلهم كانوا يجوزون التعدد أيضاً، فقد رأيت في بعض كتب التواريخ، نقلاً عن دانيال القسيس، أن ملوك فرنسا الأولين كانوا متزوجين بزوجات متعدّدات، مع أنهم كانوا متدينين بدين النصرانية. ومن ثمّ كان لكلّ من غنطران وشربير وداغوير الأول ثلاث زوجات، ولعمّ داغوير، وهو فلودمير أربع زوجات في آنٍ واحدٍ.

وفي سنة سبعمائة وست وعشرين من الميلاد، كتب البابا غريغور الثالث إلى الواعظ بدسقاس، حين أرسل إليه يسأله عن جواز التزوّج بامرأة ثانية: «إذا أصيبت المرأة الأولى بداء يمنّعها عن القيام بحقوق الزّوج، جاز له أن يتزوّج بامرأة أخرى، وعليه للمصاوبة مؤنّها الضرورية».

ولعلّ الحكمة في إباحة تعدد الزوجات عند المسلمين، وعند كلّ من كان على رأيهم، أن التدبير الإلهي لمّا ميز الرّجل بقوة البنية، وطول زمن التّناسل بالنسبة للمرأة، وسلامته من الأعذار المعتادة للنساء في أوقات معينة، كالحيض والنفاس، راعى الشرع جانبه لذلك.

وأما حكمة الأفراد التي عوّل عليها النصارى، واستندوا إليها في الحكم فلا يمكن الجزم باطرادها في كلّ طبيعة، ولا بأنّها تقطع ما يخشونه من المفسد. فقد أتى زمن يمنع فيه كثير من الأمور الفظيعة التي لا وجود لها في بلادنا، كقتل الأطفال، وإسقاط الأجنة ونحو ذلك.

فقال المستشرق الإنكليزي: هذا كلام معقول، لكن نظرت في المصحف مرّة، فرأيت في السورة الثالثة مظاهره الأمر بضرب النساء، مع أنه يُخلّ بشرف الإنسانية.

فكان الجواب أن هذا لا يوجد إلا إذا علم الزّوج منها خلاف ما كان يعهّد، على أنه ليس له ذلك من أوّل الأمر، بل يستعمل معها النصيحة، فإن أبت فله أن يؤدّبها بالمجر، فإن لم يُجِدِ المجر ضربها، بشرط ألا يضرّ بها، وألا يخرج على حُسن العشرة المأمور به

في القرآن ، الذي جعل التشديد عليهنّ مذموماً ، وصيّ من عاقبن على كل ما فرط منهنّ ملوماً ، كقوله تعالى : « الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ » .
وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « احمِلوا النساء على أخلاقهنّ » وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبيّ ، فإذا طُلِبَ ما عنده وَجِدَ رَجُلًا .

وقال بعض الصحابة للنبيّ صلى الله عليه وسلم : « ما حقُّ زوجة أحدنا عليه ؟ » قال : أن تُطْعِمَهَا إذا طَعِمْتَ ، وتَكْسُوَهَا إذا كَتَسَيْتَ ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقَبِّحَ ، ولا تهجر ، إلّا في البيت » . ومعنى لا تُقَبِّحَ : لا تسمعها المكروه ولا تشتمها أو لا تقل لها : قَبِّحَكَ الله ونحو ذلك .

وفي القرآن الكريم عدا ذلك كثيرٌ مما يعظم أمر النساء ويوجب رعايتهنّ والمبادرة إلى القيام بحقوقهنّ . وهل حرية النساء إلّا أن يبلغن حقوقهنّ على أزواجهنّ ، حسبما تقتضيه المروءة ، وصيانة النساء عن الدخول فيما ليس لهنّ من خصائص الرجال .
وليس فيما يقبل العقل المنزّه عن المعصية أن تكون حرية النساء عبارة عن تخليتهنّ وما اشتبهن ، مع ما يشاهد في الأكثر من غلبة شهواتهنّ وأهوائهنّ على عقولهنّ .

المرأة التي تزوج عليها زوجها :

في « سبحة المرجان ^(١) » أشعار عن غيرة المرأة التي يتزوج عليها زوجها ، منها قول ابن المعتز :

خَبَرُوهَا بِأَنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ	فَظَلَّتْ تَكَاتُمَ الْفَيْظِ سَرًّا
ثُمَّ قَالَتْ لِأَخْتِهَا ، وَلِأُخْرَى	جَزَعًا : لَيْتَهُ تَزَوَّجَ عَشْرًا
وَأَشَارَتْ إِلَى نِسَاءٍ لَدَيْهَا	لَا تَرَى دُونَهُنَّ لِلْسَرِّ سِتْرًا
مَالِقَلْبِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي	وَعِظَامِي أَخَالَ فِيهِنَّ فِتْرًا

(١) سبحة المرجان ص ٢٥٧ أشعار .

عدم زواج الرجل بمن يهواها :

معلوم أن العرب^(١) كانوا لا يزوجون الرجل بمن يهواها ، وكان يتحاشى السلام عليها لئلا يعرف بها .

قال أبو ريش : كان الرجل إذا عُرف بمحبِّ امرأةٍ لم يزوّجوه إياها . وكان إذا سلّم عليها عُرف أنه يهواها ، وقد يسلم عليها وإن كان في السلام يأس منها وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه .

رؤية الرجل المرأة عند تزوّجها^(٢) :

قال الأصمعي : الحُسْنُ في العينين ، والجمال في الأنف ، والملاحة في الفم .
وقالت امرأة خالد بن صفوان له : إنك لجميل يا أبا صفوان . فقال : كيف وليس عندي رداء الجمال ، ولا برئسه ولا عموده . إن رداءه البياض وأنا آدم ، وعموده الطول وأنا ربعة ، وبرئسه سواد الشعر وأنا أشط . ولكن قلّبي : إنك مليح ظريف .

وروى أن النبيّ - عليه الصلاة والسلام - خطب امرأة ، فأرسل عائشة - رضى الله عنها - لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلاً . فقال : بلى ، لقد رأيت خالاً في خدّها اقشعرت منه كلّ شعرة في جسدك .

وقالت عائشة - رضى الله عنها - تصف شعورها حينما رأت جويرية بنت الضحّاك لأوّل مرة : والله ما هو إلّا أن رأيتها على باب حجرتي ، فسكرتها . وفي ذلك ما يدلّ على ما كان عليه أزواج النبيّ - صلى الله عليه وسلم - من الفيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال عنده .
أما نظره - عليه الصلاة والسلام - إلى جويرية حتّى عرف من حسنّها ما عرف ، فذلك لأنّها كانت مملوكة ، لو كانت حرة ما ملأ عينيه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء .
وجاز أن يكون نظره إليها لأنه نوى تزوّجها .

وَرَوَى أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنِّي قَدْ وَهَبْتُ نَفْسِي لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ .
فَصَعَّدَ فِيهَا النَّظَرَ ثُمَّ صَوَّبَ ثُمَّ أَنْكَحَهَا مِنْ غَيْرِهِ .

وَتَبَتَ عَنْهُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الرَّخْصَةُ فِي النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ عِنْدَ إِرَادَةِ نِكَاحِهَا .
وَقَالَ لِلْغَنِيَّةِ حِينَ شَاوَرَهُ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ : « لَوْ نَظَرْتُ إِلَيْهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَحْرَى أَنْ يُؤَدَّمَ
بَيْنَكُمَا » . وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ حِينَ أَرَادَ نِكَاحَ بَثِينَةَ بِنْتِ الضَّحَّاكِ .

وَقَدْ أَجَازَهُ مَالِكٌ فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ . ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي زَيْدٍ .

وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّازِ : « لَا حَرَجَ أَنْ يَنْظُرَ الرَّجُلُ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ تَزْوُجَهَا وَهِيَ
لَا تَشْعُرُ » .

وَفِي تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ أَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - قَالَ لِعَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَرَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ
حَرِيرٍ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِكَ ، فَقَالَ لِي : هَذِهِ امْرَأَتُكَ . فَقُلْتُ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
يُمَيِّنُهُ ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ حَسَنٌ . وَفِي قَوْلِهِ : إِنْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سَوْأَلٌ - لِأَنَّهُ رَوَاهُ وَحْيٌ ،
فَكَيْفَ يَشْكُ فِي أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَالْجَوَابُ : أَنَّهُ لَمْ يَشْكُ فِي صِحَّةِ الرَّوْيَا ، وَلَكِنْ
الرَّوْيَا قَدْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَقَدْ تَكُونُ لِمَنْ هُوَ نَظِيرُ الْمَرْءِ أَوْ سَمِيٍّ فَمِنْ هَاهُنَا تَطَرَّقَ الشَّكُّ
مَا بَيْنَ أَنْ تَكُونُ عَلَى ظَاهِرِهَا ، أَوْ لَهَا تَأْوِيلٌ .

وَسَمِعْتُ شَيْخَنَا يَقُولُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ : لَا يَخْلُو نَظَرُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَيْهَا
مِنْ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ ، أَوْ يَكُونُ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ . وَإِلَّا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
« قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » .

وَالنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُوَ بَغِيرُ شَكٍّ إِمَامُ الْمُتَّقِينَ وَقُدُوةُ الْوَرَعِينَ . وَجَوَابُ
هِيَ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ بْنِ حَبِيبٍ بْنِ عَائِذٍ . وَتُوفِّيَتْ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ
وخمسين أو خمس وخمسين من الهجرة .

رايات من خمر النساء^(١):

وجّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - عُتْبَةَ بنَ غَزْوَانَ والياً على البصرة، وقال له : يا عتبة ، إني قد استعملتك على أرض الهند ، وهى حَوْمَةٌ من حَوَامَتِ العدوِّ ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ، ويُعينك عليها . . فإذا قَدَّمَ عليك العدوُّ ، فاستشره ، وادعُ إلى الله ، فمن أجابك فاقبلْ منه ، ومن أبى فالجزيةُ ، وإلا فالسَّيفُ ، واتَّقِ الله فيما وليتَ ، وإياك أن تنازعَكَ نفسك إلى كِبَرٍ ممَّا يُفْسِدُ عليك إِمْرَتَكَ ، وقد صحبتَ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فَعَزَّزْتَ به بَعْدَ الدَّلَّةِ ، وَقَوَّيْتَ به بَعْدَ الضَّعْفِ ، حتى صرْتَ أَمِيرًا مُسَلَّطًا ، وَمَلِكًا مُطَاعًا ، تقولُ فَيُسْمَعُ منك ، وتَأْمُرُ فَيُطَاعُ أَمْرُكَ ، فيألفها من نعمة ؛ فاحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وَلَهِيَ أَخَوْهُمَا عندى عليك أن تستدرجَكَ وتخدعَكَ فتسقط سقطةً تصيرُ بها إلى جهنَّمَ ، أُعِيذُكَ بالله ونفسى من ذلك . إنَّ النَّاسَ أَسْرَعُوا إلى الله حتى رُفِعَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا فأرادوها ، فَأَرَادَ اللهُ وَلَا تُرِدِ الدُّنْيَا . واتَّقِ مصارعَ الظالمين . انطلق أنت ومن معك حتَّى إذا كنتم فى أقصى أرض العرب وأدنى أرض المعجم ، فأقيموا . فسار عُتْبَةُ ومن معه ، وأقام بالبصرة ، ثم سار عتبة بالمسلمين إلى أن لقيهم جيش عظيم من الفرس ، فاقتتل الفريقان .

وقال نساء المسلمين : لو لحقنا بهم فكنا معهم ، فَاتَّخَذْنَ مِنْ خُمْرِهِنَّ رَايَاتٍ ، ومرن إلى المسلمين ؛ فلما رأى المشركون الرايات ، ظَنُّوا أَنَّ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ قد أقبل ، فانهزموا ، وظفر بهم المسلمون !

(١) فى « الكامل » لابن الأثير .

كشف وجه المرأة في الإحرام :

قالت عائشة - رضى الله عنها^(١) : لو علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحدث النساء ، لمنعن من المساجد .

وسئل عقيل - عن كشف المرأة وجهها في الإحرام ، مع كثرة الفساد في زمانه أهو أولى أم التغطية مع الفداء ؟ فأجاب : بأن الكشف شعار إحرامها ، ولا يجوز رفع حكم ثبت شرعاً لحوادث البدع .

وأما قول عائشة - رضى الله عنها - فإنها ردت الأمر إلى صاحبه فقالت : لو علم لنع ، ولم تمنع هى .

وقد ندب الشرع إلى النظر إلى المرأة قبل النكاح ، وأجاز للشهود النظر . فليس يبدع أن يأمرها بالكشف ، ويأمر الرجال بالنض لىكون أعظم للابتلاء .

وإنما جاء النص بالنهي عن النقاب خاصة ، كما جاء النهي عن القفازين ، وعن لبس القميص وال سراويل . ومعلوم أن نهيه عن لبس هذه الأشياء لم يرد أنها مكشوفة لا تستر البتة ، بل قد أجمع الناس على أن - المحرمة تستر بدنها بقميصها ودرعها ، وأن الرجل يستر بدنه بالرداء وأسافله بالإزار .

ومن قال : إن وجه المحرمة كراأس المحرم ، فليس معه بذلك نص . وقول من قال من السلف : إحرام المرأة في وجهها إنما أراد به أنه لا يلزمها اجتناب الناس كما يلزم الرجل ، بل يلزمها اجتناب النقاب ، فيكون وجهها كبदन الرجل .

وقد قالت عائشة - رضى الله عنها : كنا إذا مررنا الركببان سدكت إحداثاً جلبابها على وجهها . ولم تكن إحداثاً تتخذ عوداً تجمعله بين وجهها وبين الجلباب كما قال بعض الفقهاء ، ولا يعرف هذا من امرأة من نساء الصحابة ، ولا أمهات المؤمنين البتة ، لا عملاً ولا فتوى . ويستحيل أن يكون هذا من شمار الإحرام ، ولا يكون ظاهراً مشهوراً يعرفه الخاص والعام .

(١) في بدائع الفوائد.

ومن أثر الإنصاف وسلك سبيل العلم والعدل تبين لمراجع المذاهب من مرجوحها، وفاسدها من صحيحها ، والله الموفق الهادي .

المرأة لعبة زوجها^(١) :

البيضة المكنونة^(٢) بيضة النعام، ويشبه بها النساء لبياضها ، والصفرة التي تضرب فيها .
قال ذو الرمة :

« كَأَنَّهَا فَضَّةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبٌ »

والمكنونة : المصونة ، والنعام تخفيها بربش ، ولا تبديها للشمس والرياح لئلا تتغير .
وقال الله تعالى : « كَأَنَّهِنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ » .

وعن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال :
« المرأة لعبة زوجها ، فإن استطاع أحدكم أن يحسن لعبته فليفعل » .

والمداعبة : المازحة ، والمنازلة - تقول : غالزني المرأة : إذا تماجنت عليك في كلامها
وأشارت لك بعينها ، وغزتك بحاجبها حتى إذا طمعت فيها صددت عنك . . . والمليحة
الصورة : المستملحة . كالدمى والصور التي تلعب بها البنات ونحوها .

مات زوجها فتزوجت ! :

يروى أن امرأة من مدينة « يشكر » اسمها « أم عقبة » كانت عند ابن عم لها يقال له
« غسان » وأنه سألها عما تصنع بعد موته ، فقال :

أخبري بالذى تريدن بعدى والذى تضميرن يا أمَّ عُقْبَةَ
تحفظين من بعد موتى لما قد كان منى من حسن خلق وصُحْبَةِ
أم تريدن ذا جمالٍ ومالٍ وأنا فى التراب فى سجن غُرْبَةِ

(١) في خزنة الأدب للبغدادى . (٢) تسكن رأسها : أى تخفيها كما هو مشهور عن النعام غالباً .

فَقَالَتْ لَهُ : وَاللَّهِ لَا أَجِيبُكَ بِكَذِبٍ ، وَلَا أَجْمَلُهُ آخِرَ حَظِّي مِنْكَ . وَأَنْشَدَتْهُ :
 قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ يَا ابْنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمِّ عَقْبَةَ
 سَوْفَ أَبْكِيكَ مَاحِيْتُ بَنُو حِمْيَرٍ وَمَرَاثٍ أَقُولُهَا أَوْ بِنْدَبَةَ
 فَلَمَّا سَمِعَهَا أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا وَاللَّهِ وَاقِعٌ بِكَ لَكِنْ احتياطاً أَخَافُ غَدْرَ النِّسَاءِ
 بَعْدَ مَوْتِ الْأَزْوَاجِ بِأَخِيرِ مَنْ عَوَى ثُمَّ فَارَعَى حَقِّي لِحَسَنِ الْوَفَاءِ
 إِنِّي قَدْ رَجَوْتُ أَنْ تَحْفَظِي الْبَهْمَ لِمَا فَكُونِي إِنْ مَتَّ عِنْدَ الرَّجَاءِ
 ثُمَّ اعْتَقَلَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَنْطِقْ حَتَّى مَاتَ . فَلَمْ تَمُكِّثْ بَعْدَهُ قَلِيلًا حَتَّى خُطِبْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ،
 وَرَغِبَ فِيهَا الْأَزْوَاجُ لِاجْتِمَاعِ الْخِصَالِ الْفَاضِلَةِ فِيهَا ، فَقَالَتْ بِحِيَّةً لَهُمْ :

سَأَحْفَظُ غَسَّانًا عَلَى بُعْدِ دَارِهِ وَزِعَاهُ حَتَّى نَلْتَقِيَ يَوْمَ نُحْشَرُ
 وَإِنِّي لَفِي شُغْلٍ عَنِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَكُفُّوا فَمَا مِثْلِي بَعْنُ مَاتَ يَغْدُرُ
 سَابِكِي عَلَيْهِ مَاحِيْتُ بِدَمْعَةٍ تَجُولُ عَلَى الْخُدَّيْنِ تَهْمِي فَهَمُرُ

فَلَمَّا تَطَاوَلَتِ الْأَيَّامُ تَنَاسَتْ عَهْدُهُ وَقَالَتْ : مَنْ مَاتَ فَقَدْ فَاتَ .

فَأَجَابَتْ بَعْضُ خُطَّابِهَا فَعَقَدَ عَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَرَادَ الدَّخُولَ بِهَا أَتَاهَا آتٌ

فِي مَنَامِهَا فَقَالَ :

عَقَدْتُ وَلَمْ تَرَعِي لِبَيْعِكِ حَرَمَةً وَلَمْ تَعْرِفِي حَقًّا وَلَمْ تَحْفَظِي الْعَهْدَ
 وَلَمْ تَصْبِرِي حَوْلًا حِفَظًا لِصَاحِبٍ حَلَفْتَ لَهُ بَتًّا وَلَمْ تَنْجِزِي الْوَعْدَ
 غَدَرْتُ بِهِ لِمَا ثَوَى فِي ضَرْبِهِ كَذَلِكَ يُنْسَى كُلٌّ مَنْ سَكَنَ اللَّحْدَ

فَلَمَّا سَمِعَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ ، انْتَبَهَتْ مَرْتَاعَةً كَأَنَّ غَسَّانَ مَعَهَا فِي جَانِبِ الْبَيْتِ ، وَأَنْكَرَ
 ذَلِكَ مِنْ حَضَرِهَا مِنْ نِسَائِهَا ، فَأَنْشَدَتْهُنَّ الْأَيَّاتِ ، فَأَخَذْنَ مَعَهَا فِي حَدِيثِ لَيْسِنِيهَا مَا هِيَ فِيهِ ،
 فَتَغَفَّلَتْهُنَّ وَأَخَذَتْ مَدِيَّةً ، فَلَمْ يَدْرِكْنَهَا حَتَّى ذُبِحَتْ نَفْسُهَا . فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ :

لَوْ دُرِّكُ مَاذَا لَقِيتِ مِنْ غَسَّانٍ
 قَتَلْتَ نَفْسَكَ حُزْنًا يَا خَيْرَةَ النِّسْوَانِ

وفيت من بعد ماقد همت بالمصيان
وذو المال غفور لسقطه الإنسان
إن الوفاء من الله لم يزل بمكان

وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها المتوفى :

قالت امرأة حكية^(١) : كنت عند عائشة بنت طلحة يوماً ، فقيل لها : هذا الأمير قد جاء ، فتنحيت . ودخل عمر بن عبد الله زوجها فلما خرج من عندها ، رأيته وكأنا أوتى ملك سليمان .

ويقال : إن رملة بنت عبد الله ضرة عائشة هزم قالت لمولاة عائشة يوماً : أريني مولاتك مجردة وأنا أعطيك ألفي درهم . فذكرت الجارية ذلك لعائشة ، فقالت : أنا أجرد لها ولا تعلمها أنى عرفت . ثم قامت عائشة فتجردت كأنها تفتسل . وذهبت مولاتها إلى رملة ضرته فأخبرتها ، فأشرفت عليها وتأملت ما مقبل ومُدبر ؛ وأعطت الجارية ألفي درهم وقالت : وددت لو أتى أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرها ، وذلك لما راعها من حسن جسدها والبض ، وتناسق جمال أعضائه المثيرة الفاتنة .

ولما مات عمر بن عبد الله زوج عائشة ندبته قاعة ، دلالة على أنها لا تتزوج بعده .
روى الأصفهاني في كتابه « الأغاني » أن عائشة بنت يزيد بن معاوية ، استأذنت زوجها عبد الملك في الحج ، فأذن لها وقال : ارفعي إلى حوائجك كل ما ، واستظهري فإن عائشة بنت طلحة تحب معك ، فاستظهرت بكل ما تقدر عليه ، وخرجت بهيئة حسنة قد اجتهدت فيها . فلما كانت بين مكة والدينة إذا ركب قد جاء فضمنها وفرق جماعتها ، وكان هو ركب عائشة بنت طلحة !

القبلة وإباحتها^(١)

قالت طائفة من العلماء : القَبْلَةُ مَبَاحَةٌ لِمَن وَصَلَ إِلَى حَدِّ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ التَّلَفِ فِي الْحَيْنِ قَالُوا : لِأَنَّ تَرْكَهَا قَدْ يُوَدِّي إِلَى هَلَاكِ النَّفْسِ ، وَالْقَبْلَةُ صَغِيرَةٌ ، وَهَلَاكِ النَّفْسِ كَبِيرَةٌ ، وَإِذَا وَقَعَ الْإِنْسَانُ فِي مَرَضَيْنِ دَاوَى الْأَخْطَرِ ، وَلَا خَطَرَ أَعْظَمَ مِنْ خَطَرِ النَّفْسِ ، حَتَّى أُوجِبُوا عَلَى الْمَحْبُوبِ مَطَاوَعَتِهِ عَلَى ذَلِكَ . إِذَا عَلِمَ أَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ يُوَدِّي إِلَى إِهْلَاكِهِ . وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّامُ . . . » وَالْحَدِيثَ الَّذِي يَقُولُ : يَارَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَقِيتُ امْرَأَةً أَجْنَبِيَّةً فَاصْبَتْ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ ، قَالَ : أَصْلَيْتَ مَعَهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ اللَّهُ قَدْ غَفَرَ لَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ الْأَيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ » . رَجِعْ إِلَى الْمَقَاتِعِ :

قال أبو الفرج الجوزي :

يَا مَانِعَ الْقَبْلَةِ مِنْ خَدِّهِ فَتَتْ قَلْبِي فَهُوَ مَفْتُوتُ
لَا تَمْنَحْ أَقْقَامِي وَلَا حَرَّهَا فَإِنَّمَا خَدُّكَ يَاقُوتُ

ولأبي الفضل بن أبي الوفا :

سَأَلْتُهَا رَشْفَ رِيْقٍ مُسْتَعْذِبَ الطَّعْمِ حَلْوَى
قَالَتْ : فَصْفَه ارْتِجَالًا فَقُلْتُ : بِمَدِّ التَّرْوَى

ولابن حجة :

وَعَاشِقُ أَثَرِ مَعْشُوقِهِ قَبْلَةً فِي فِيهِ فِيهَا شِفَاءُ
وَلَمْ يَخَفْ مِنْ جَارِحِي لَحْظِهِ خَطْفًا وَقَدْ بَاسَ وَلَمْ يَخْطَفَاهُ

ولابن المطار :

جَمَعْتُ بِالرَّاحِ شَمْلِي فَاللَّهُ يَجْمَعُ شَمْلَكَ
وَكَمْ يَدُّ لَكَ عِنْدِي دَعْنِي أَقْبَلَ رَجْلَكَ

(١) المنتخبات الشعرية رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٨٧ .

ولآخر :

رأيت في مجلسي مليحاً يشبه بدر الدجى وأحسن
سألته قبلةً بجَدٍّ فجاد بالوصل لى وأحسن

وقال آخر :

سألته قبلةً الذَّبهَا فصَدَّ عَنِّي وقال سروالك
فقلت : لم سَيِّدى ؟ فجأوبنى : عاقبة البوس حل سروالك

ولآخر في « مشروطٍ على الخدّة » :

بروحى مشروط على الخد أسمر وفاودنا بعد التجنب والسَّخَط
فقال على اللثم اشترطنا فلا تزد فقبَّلته ألقاً على ذلك الشرط

ولبعضهم رحمه الله :

قال الحبيب وقد رشفت رضابه في يوم من رمضان لما زارا
أفطرت ؟ قلت : نعم رأيتك طالماً وهلال وجهك يوجب الإفطارا

ولآخر عفا الله عنه :

قبَّلت مبسمه فقال تذللًا عند اللقاء له ونَحْنُ صِيَامُ
أفطرت ياهذا ، فقلت له : ابتداء الصوم مع رؤيا الهلال حَرَامُ

وقال آخر في الجناس :

إن كنت تألف بالحبيب وقربه فاصبر على جور الرقيب وداره
إن الرقيب إذا صبرت لحُكْمِهِ ثَوَاك في مثوى الحبيب وداره

محاسنُ الخلقِ والخلقِ^(١)

عن وهب بن منبه - أنه قال : قال موسى عليه السلام : أى رب أى عبادك أحب إليك ؟ . قال : من أذكر برؤيته . وقال وهب : قال داود : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : أى عبادك أبغض إليك ؟ قال : كافر قبيح الصورة ...
وفى مسند الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله يحبّ الجمال . رواه عبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدرى ، وعبد الله بن مسعود وجماعة .
وعن حديث ابن حديد عن أبي مليكة ، يرفعه : من آتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً وجعله فى موضع غير شائنٍ له ، فهو من صفوة الله من خلقه .
وفى الصحيحين عن أبي بريدة - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذى يرسل إليه حسن الوجه حسن الاسم . وكان يقول : إذا أبردتكم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الاسم .

وفى مליح :

يا من له وجهٌ بدت أنواره كالشمس عند طلوعها بل أشرق
لولا هواك لما جفا جفنى الكرى ليلاً ، وبثٌ بدمع عيني أشرق

وفى آخر :

شبهت بالبدر الحبيب فقال لى لاح به أثر الصبابة لا يخُ
لا وجه للتشبيه ، قلت : أما ترى وجه الحبيب ؟ فقال : وجه واضحُ

وقال له :

وجهه يفوق الهلال حسناً ويُنجلُ البدر إن تجلى
يقول فى الحال من رآه أشهد أن لا مليح إلا

(١) الجزء رقم ٦٤٨ شعر تيمور مخطوط ص ٩٨ .

وقال آخر :

رشيق المشى لم يسر في خده الشعر
فلا خير في اللذات من دونها السر

أحب من المردان كل مهفف
فأما إذا ما الشعر في خده بدا

وقال آخر :

ثم لاموا من افتن
حجبا وجهك الحسن

أظهروا وجهك المليح
لو أرادوا جبايتي

وقال آخر وأجاد :

ورمت تخلصها منه فلم أطق
قبل المات فهذا آخر الرمق

يا من وهبت له روحى فمذبها
أدرك بقية نفس فيك قد بلغت

ولابن الخطيب في « الحسن » :

والماء في وجناه يتردد
بالحسن فوق جبينه يا واحد

الدر فوق جبينه يتوقد
كتب الهوى بيد إليه يؤكد

وله أيضاً :

مئى وإن وداده تكليف
خبر رواه الجفن وهو ضعيف

جفون ممذبي يملأه
لكننى لم أنا عنه لأنه

ولشهاب الدين بن ناصر الدين :

قد جفونى لست أرا
من سيوف الهند أرا

بى سقام من جفون
وعيون فأتكات

ولآخر :

نون وموضع تقبيلاته ميم
وعابد الصنم الإنسى مخدوم

كان مقاتله صاد ، وحاجبه
فصرت أعبد منه فى الهوى صنماً

ولآخر - فى الميون :

دعج تدبه إن فهمك راقد
بين الميون وبينه ذا ساعد

يا من يشبه زجساً بنواظر
أين القياس لمن يصح قياسه

وقال أيضاً في ذلك :

وظيُّ إذا عاتبت ناعس طرفه
ألا فاشهدوا قتلي بسيف جفونه
ولآخر - في العيون السود :

عيونك السود إن مدّت سوافها
وإن كان جبل الجفا سودّ معارفها
ولآخر - في ذلك :

كنت أشتى بحبيبي ألف ناقة سود
أنزل إلى الحرب آخذ عود وأعطى عود
وفي من عينه زرقاء :

بمينه الزرقاء
واعجباً أحبه
في قلبي سهم مطلق
وهو العدو الأزرق

وفي أحول :

قالوا سُملت بأحول فأجبتهم
لأتحسبوا حولانه .. لكنّه

وفي من بعينه رمد :

جاء الحبيب وعيناه بها رمد
وقال أرجو علاجاً قلت واعجباً

وفي الوجنة الحمراء :

الطرف بمدك قد عادت مدامعه
والقلب في الوجنة الحمراء يأسكني

وفي مبتسم الثغر :

جاء بصبح ثغره مبتسماً
قلت له : دمت لقلبي هكذا
يمشي بليل الشعر في دلال
ما دامت الأيام والليالي

وفي حبيب :

قال الحبيب يقول ثغرى إنّه
يازيد خذ منه الحديث فإنّه
ذو قرقف داء المحبة دافع
حسنٌ رواه مالك عن نافع

وقال في أحور :

وأحور طرفى حابر فى جماله
وعريننه أقى أعمّ وطرفه
وفي الجلجة كلام المحبوب :

عابوا التلجلج - فى كلام معذبى
إنّ الذى ينسى الكلام لسانه
فأجبتهم والعذر فيه بيان
ولسانه من ريقه سكران

وفي معاينة حسن الحبيب :

لو عاينت عينك حسن معذبى
عين الرشا ، قدّ القفا ، ردف النقا
مالتنى ولكنت أول من عذر
شعر الدجى ، شمس الضحى ، وجه القمر

ولابن مبارك :

يا أيّها العشاق قد جاءكم
أجيدٌ إتلافٌ روح امرئٍ
على ملبحٍ فى الهوى أم ردّى
متيمٌ يسأل كفى يهتدى

وقال آخر - فى من بيده مديّة :

وشادنٌ فى يده مديّة
ما كان محتاجاً إلى حملها
جرّدها للفتك من غمدها
فلحظه أقطع من حدّها

ولأبى نواس - فى أحور ساحر العيين :

وبلى على أحورٍ ممكورٍ
تختاره الحورُ علينا كما
وساحرٍ العيينٍ مسحورٍ
نختاره نحنُ على الحورِ

وفي من يبكى ! :

يا قمرًا أبصرتُ فى مائمه
لا تبكٍ للعتِ ياسيدي
يندبُ شجواً بين أثوابِ
وابكٍ قتيلاً لك بالبابِ

وفي من ينظر في المرأة :

وإذا أراد بأن ينزّه طرفه
فكانه وكأنها في كفّه
أخذ المرأة بكفّه فتفرّجاً
شمس الضحى قد قارنت بدر الدجى

وفي قواس :

قالت لقواس له طلعة
يا من له وجه كبدر الدجى
من رام عنها الصبر لم يقدر
بكم تبسّع القوس لمشتري ؟

وللأزميرى في رام :

بأبي وأمي رامياً يسبي الحشا
لما أراد إطلاق سهم رامياً
بلواحظ تسطو على العشاق
زاد الورى عشقاً على الإطلاق

وفيه أيضاً :

رى عن قوسه في الطير سهماً
وفوق نحو قلبي سهم طرف
على عجل ولم يعجل رويدا
فلم يخطئ بسهميه السويدا

وفي رمال :

وضارب بالرمل من حسنه
كأن من أبدع في خلقه
مستخرج في الرمل أشكاله
يزدحم الناس على رمله
قد خلق العشاق من أجله
وما يريدون سوى شكله

ولابن الوردي في ذلك :

حكي القضيبي والقنا
وقال وصلي غفلة
بالرمل إلا بفيض داخل
والأنامل

وقال في منجم :

ورب منجم قد صدّ عني
فقلت عساك ترجع عن قريب
ولى أبداً بطلعته ولوع
فقال الشمس ليس لها رجوع

ولابن الزَّيْنِ في تاجر :

وتاجرٌ شاهدت عشاقه والحرب فيما بينهم تسارٍ
قال على ما اقتتلوا هكذا قلت على عينك يا تاجرٍ
وللأزميري - في تاجر أيضاً :

وتاجرٌ يمنح عشاقه مالا ووصلاً ليري نادره
ما ردّ يوماً منها زائراً لأنه متّسع الدايـره
وله في شاعر :

لا تمذلوني إذا عشقت شاعراً في فيه نظم الدرّ يا رفاق
فهو البديع حسنه لكنه يميل للترصيع في الطباقي
ولآخر في الخلد :

بدّا في الخلد عارضه فأنحى عليه مفيض بالوم يُنـرى
وحاول أن يرى متى سلّوا فقال : لقد تعذّر . قلت : صبري
ولآخر ... اقتباس - في من في خده عذار :

رأيتُ في خده عذاراً خلعت في حبه عذارى
قد كتّب الحسنُ فيه سطرأ ويوجّـل الليل في النهار
ولابن المعتز في ذمه وهجره :

يارب إن لم يكن في وصله طمعٌ ولم يكن قدح من طول هجرته
فاشف السقام الذي في جن مقلته واستر محاسن خديّه بلحيته
وله أيضاً - عفا الله عنه :

ها قد غدا في ثياب الشعر في كفن - وقد تغت معاني وجهك الحسن
وكان يمرض عني حين أبصره فصرتُ أعرّضُ عنه حين يبصرني
وقال آخر :

لما التحى وعما الإلهُ جماله وكساه ثوبَ مذلة وتقاق
كتب الزمان بخطه في خده هذا جزاء معذب المشاق

وقال آخر :

غداً أسوداً بالشعر أبيض وجهه
على وجهه أضحي بخطي عذاره
ولآخر ... اقتباس :

قتل الناس بالواظ حتى
طلعت ذقنه وعيناه كَلَّتْ
وأخر .. مثله :

لما بدا في خده عارض
وقلت غدا عارض ممطر
وقال آخر - أيضاً :

قلت لما تشركت عارضا
إيش هذا قال لي في جوابي
ولابن نباتة :

وأمرؤ مقتته ربه
أرسله الله لنا آية
وله أيضاً - رحمه الله :

دارت عذار حبيبي
فياله حسن وجه
وقال آخر :

وخلصني من يدى عشقه
كنست فؤادي من حسنه
وقال آخر . والله درّ قائله :

ما فعل الله باليهودي
ولا بفرعون من عصاه
ولا بصاد ولا ثمود
ما فعل الشعر بالحدود

ما قيل في الأسماء^(١) :

في محمد بن عربي :

أحمد عساك تشهد لي أنى قتيل عيونك النُّجْل
فقت الملاح فانت خاتمها وكذا سميت خاتم الرُّسُل
وفيه أيضاً :

قالوا تشفع بالجمال ولو ثبتت كان أجود
فأجبت إني مسلمٌ أرجو الشفاعة من محمد
ولابن الفيف :

أيها المودّع قلبي نار وجد تنوّد
كيف تستاهل ناراً مهجة تهوى محمد
وفي أحمد :

قد غدا أحمد لي ما أجود وكان بالوصل لنا ينجد
وإن يمد يرضى لمشاقه فالوصل يا أحمد لي أحمد
وفيه أيضاً :

مذ وفا أحمد وعدى ولهب الشوق أحمد
فأنا في كل حالٍ أشكر الله وأحمد
آخر والله در قائله :

ولقد قنعت من الحبيب بنظرة أظنى بها ناري التي لا تخمد
قالوا فمن شئت تحب؟ فأجبتهم غصن النقا بدر الدجى يا أحمد
وفي أبي بكر :

تمشقت ظبياً فاتن اللحظ فاراً أبو بكر يدعى خليفة طلعة البدر
فلا تنكروا وجدى فأني محمد وإني من أولى الورى بأبي بكر

وفيه أيضاً :

بروحى أبا بكر فديت ومهجتي له طلعة كالبدر والنصن قدّه
مليحاً ببدر التّمّ في أفقه يذرى والحجازى - فيه أيضاً :

بمدح أبى بكر سموتُ فيا له ولا بدع إذ بالنت في مدحه إذا
فأحمد من أولى الورى بأبى بكر ولشهاب الدين التليح ، وأنشده لنفسه :

منّ حبيبي ووفاء وعدّا له وحققه
ولا عجباً من أبى بكر الوفا ما أصدقه

وفى عمر :

ما عليهم فى الهوى إذ نظروا حين سمّوك وقالوا : عمر
أبدلوا قافك عيناً غلطاً أخطأوا ما أنت إلا قر

وفى عثمان :

وافى إلىّ بشمعتين ووجهه بضيائه يزهر على القمرين
ناديت ما الاسم ؟ يا كلّ المنى فأجابنى عثمان ذو النورين
لنر فى عثمان :

يا أيها العارف فى فنّه ومدّعى الفهم وعلم البيان
ما قولكم فى أحرف خمسة إذا مضى حرف تبقى ثمان

وفى علىّ :

قال المذول مذ رأى قلبي به فى شغل
عن فتنت فى الورى ؟ فقلت دعنى بعلى

وله عفا الله عنه :

بعلى قد همت ما بين الورى وبه قلبي المعنى قد بلى
وإذا ما غاب عنى شخصه صاح قلبي وحشة يالعى

ولابن حجر الحافظ رحمه الله :

قلت : هل لى من دوا
قالوا سلوى كل حبّ
قد غدا قلبى عليلاً
قلت إلا عن على لا

وللحجازى فى عبد العزيز :

إن عبد العزيز قد جاء نحوى
فى هواه حقاً لقد طاب ذلى
مرح حالى أغنى عن التميز
حيث أصبحت عبد عبد العزيز

وللازهرى فى عبد القادر :

حبّى عبد القادر الذى له
وكيف لا أريده بين الورى
بهجة حسن والورى عبیده
والله يدرى أننى أريده

لنز فى عبد الله :

اسم من أهواه ياسيدى
وأخو الورد تمام اسمه
فيه من العنبر حرفان
وواحد ليس له ثان

وفى عبد القوى :

عبد القوى سبائى بقده السمهري
وصرت عبداً ضعيفاً فى حبّ عبد القوى

وفى عبد اللطيف :

فتنت بعبد اللطيف الذى
ولا عجب إن بدا لطفه
فطائته أسكنته الفؤاد
فعبد اللطيف لطيف العباد

وفى عبد الحفيظ :

عبد الحفيظ الندى
لا تحتشى من ضياع
قد أنجح الله قصده
فالله يحفظ عبده

وفى محمود :

يقول لى منكر حالى به
فقلت لا تسل بحق الهوى
من لك فى ذا الحى مقصود
عنه فقصدى فيه محمود

وفيه يهجو :

ما كنت أحسب أنى أجي إلى زمن يسبنى فيه كلب وهو محمود

وفى إبراهيم :

عجبت لنار قلبي كيف تبقى حرارتها وحبك تحتويه
فيا نيرانه كوني سلاماً ورداً إن إبراهيم فيه

وفيه أيضاً :

لا زال بابك للمسكرم كمةً فُتري بها للواردين رسوم
حتى يقول القاصدون بأمرهم هذا المقام وأنت إبراهيم

ولابن نباتة فى خليل :

ينيب خليل الحسن عنى ليلة وكيف يطيب العيش عندى والكرى
فأسأم من ليل طويل أراقبه وليس إلى جنبى خليلاً ألاعبه

ولمزددين الموصلى :

قال حبي خليل غيّرت ودّى بعد عشق الملاح صرت قتيلاً
وتركت الفؤاد منى عليلاً ما تراعى من الأنام خليلاً

وقال فى يعقوب :

يعقوب إنى يوسف قد تركتنى وأصبحتُ مخذولاً وقد كنت ناصراً
من الحزن يعقوباً وأصبحت يوسفاً وكفت مليكاً صرت عبداً مكلفاً

ولابن الخياط - فيه أيضاً :

رأيت أنى فى الكرى لاثماً يوسف انبينا بتأويله
مبسمك الشافى آلامى فقال هى أضماث أحلامي

لنزه فيه .. وأجاد :

يا سائل عن اسم من أحببته فإذا أردت بيانه فاعمد إلى
إنى بمن أهواه غير مصرح معكوس سابع كلمة فى « سبّح »

وفي موسى :

رأيت في خلق غزالا تحير في وصفه الميون
فقلت ما الاسم قال موسى فقلت هنا تخلق الذقون

وفي عيسى :

ناديت يا عيسى ترفق بامرئ
عيسى بن مريم كان يحبي من يرى

في داود :

وهمت بأن قلبي من حديد
فلان على هواك ولا عجيب

وفيه أيضا :

أمسى يقرّ بحسنه بدر اللجي
فاذا بدا فكأتما هو يوسف

في سليمان :

له وجنة تدمى من اللحظ رقة
فهذا سليمان لركة خده

في خضر :

مهفف طلعت له ليس بها
يجرى لنا ماء الحياة وثفره

في رجب :

دموعي ربيع والرقاد محرم
وفي القلب من شعبان نيران نصفه

في شعبان :

شعبان قد أمسى يهزّ معاطفاً
لا غرو إن لاحت عليه طلاوة

أبدت حلاوة خصره مع ردفه
شعبان كلّ حلاوة في نصفه

على بن سودون - في بركات :

رشاً يصيد الأسد في اللفعات
قد صاد كل فتى وكل فتاة
الوجه منه مبارك فإذا بدا
لا تياسن يا قلب من بركات

ابن القيصراني في منصور :

يا قر الوصل في جنة
ما سكنت ولدانها الحور
كم حاربتك الشمس في حسنها
وأنت يا منصور منصور

النواجي في نجم :

قد كنت أحسب نجم الدين يمنحني
من وصله كل ما أهوى وأختار
حتى رمانى في نيران مهجته
فصحّ عندي أن النجم غرار

وله في سعد :

أنا قد همت بسعد
وتفانيت
فاطرح نصحي ودعني
إتما المرء بسعده

وله في سعيد :

مما منى مهجتي سعيداً
ولى شقاء به يزيد
إذا اجتمعنا يقول صدرى
هذا شقيّ وذو سعيد

وله في قاسم :

شكوت له حالى وفراط صبابتي
فتاه دلالاً واشنى وهو باسم
وقال استمر صبرى وكن متأسياً
فنحن قسمنا وارض بالحب قاسم

ابن العطار في يحيى :

أيمكن سلوتى يحيى ؟ وروحي
تكابد فى هواه عليه أشيا
وقلبى يشتهى فيه اكتئابى
ويرضى أن أموت بحب يحيى

وله في هاشم :

فى هاشم قلبى بدا دايباً
من لحظة الفاتك بالعالم
وكسر قلبى صحّ فى عشقه
لقلة الإنصاف فى هاشم

وله في عامر :

حببي يدعى في الأنام بامر
يهتد قلبي بالصدود وبالخفا
وأول عشقي ليس لي فيه آخر
على أن فيه منزل الشوق عامر

وله في فرج :

وليس لي مخلص أرجو النجاة به
لكن أضمت بيت القائل بن رجا
من الغامر فقد ضاقت بي الحجة
كلّ الأمور وإن ضاقت لها فرج

آخر :

يا لائمي في رشيقي القدر معتدل
أشكو الشدائد من وجدٍ أكابده
انظر فإن غرامي غير ذي عوج
ولست أياس في شكواي من فرج
للحجاج في أمير حاج :

منعت بزورة للعبد يوماً
وأما إن دعيت أمير حاج
لك الرحمن بالحسنى يجازى
فلا بدع بحبك للحجّازي
ولا بن نباتة في عماد :

قالوا العباد مليح
بحسنه قلت قصدي
أسبي جميع العباد
أنظر لذات العباد
لعمز الدين الموصل في جرادة :

لقبوه جرادة وهو ظبي
صدته فامتلا فؤادي شحماً
فاق حسناً ولم أعره شهاده
لا تقولوا بأن صيدى جراده
لا بن نباتة في إلياس :

أفدى مليحاً في البرايا لم أزل
قالوا أقطعه كبيراً قلت من
طول الزمان عليه في وسواس
راحت قلب الرء قطع إلياس
لغز في إسماعيل :

اسم من قد هويت ست حروف
عيل صبرى تمام اسم حبيبي
نصفها ما تبديت فاستفهموها
ما على الماين لو فهموها

لابن الصايغ، في حسن :

إن الحسود عندما عاين ذا الحسن افتتن
وقال لا بدع إذا أتى على بالحسن

وفي حسين :

حسين سباني حسنه ولحاظه
رمانى بسهم اللحظ قلت له اتشد
وقامته كالخيزرانة تنثنى
سميك مقبول وأنت قتلتنى

وفي بدر :

سموه بدرآ وذاك لما
وأجمع الناس إذ رأوه
أن فاق في حسنه وعمّا
بأنه اسم على مسمى

وفي كمال الدين :

دينى تكمل مذ جُعلتم قبلتى
وغدوت أنشد فى البرية كلّها
وسجدت فى أعتابكم بجيبنى
ما الفخر إلا فى كمال الدين

فى عزّ الدين :

مولاي عزّ الدين يامن غدا
بكم حقيقةً حسنت حالتى
مادحه ما زال فى عزّ
والذلّ قد بدّل بالعزّ

فى تاج الدّين :

يبابك تاج الدين قد جيئت مهدياً
فزادت بهاء من عطائك سيدى
جراهر لفظ لم ينلنى تاجر
وفى التاج أبهى ما يكون الجواهر

الشهاب الصائم، فى محبّ الدّين :

فى ملاح لك شتى
كم ليالى مع غزال
ضعف القلب وشتا
يا محبّ الدين بتا

في شرف الدين ، يهجو ، وأجاد :

لقبوه	شرف	الدين	يرجّون	السيادة
كيف	يرجى	منه	خير	وهو شرٌّ وزيادة

في زيتون يهجو فيه :

سمّوك	زيتوناً	فما	أنصفوا	لو أنصفوا سمّوك
لأن	للزيتون	زيت	يضي	وأنت لا زيت ولا نورا

في يونس :

وقالوا	حبيب	القلب	بدرٌ	وقدّه
فلو	لم يكن	غصنا	لما كان	مائلاً

آخر، وأجاد:

شغفت	بفتان	اللواحظ	أهيف	له مقلة سوداء
فإن	غاب	عن عيني	تصورت	شخصه

في مقبل :

يامن	تحجب	عن	حُبّ	صادق
من	لى	بيوم	فيه	يسمح

باللقا

في شاهين :

يامن	تسمّى	بشاهين	وسيمته	خطف
قد	اشتهداك	بالشاهين	لا	تقسا

في عنبر :

مذ	رآنى	عنبر	حبيبي	وعرف
أرشفنى	من	لما	خمرأ	وشافنى

من شذاه عنبر

في بشير :

بشير	سبا	مهجتي	وجا	كبدر
وقد	جاد	لى	بالرضا	والواصل

منير

بشير

في سنبل :

يقولون لي إذ زار في الحبّ سنبل
أهذا شذا مسك توضع نشره
وقد فاق ربّيّا نشره كلّ مندل
فقلت له هذا شذا عرف سنبل

في كافور :

مذ زار كافورنا البديع سنا
شاهدت من خاله بوجتته
ووجهه حفّ من سنا النور
نقطة مسك تبدو بكافور

في مسرور :

يقولون لي مسرور وافاك زائراً
فقلت لهم قد زال همي بوصله
وقد بت بالصباية ماسوراً
وقلبي به في الحب أصبح مسروراً
في ريحان، ولله درّه :

فديت ريحان صبا بالجوى
لما رنا بلحاظه من نرجس
وبعاد قلبي شفه الأشجان
وبدا بعارض خدّه ريحان
في صبيح، وأجاد :

أرى صبيح مهجتي قد سبي
فكيف لي بالصبر عن حبّه
وصير الدمع بخدّ يسبح
وقد سبي قلبي بوجه صبيح
في مبارك :

مبارك يا عذولي
لو زارني كنت أحظى
أطلت فيه مقالك
منه بكعب مبارك
في فرج :

يا قلب صبراً إذ أتاني فرج
وربّما تبلغ المراد وكم
عساك بالوصل منه تتهج
قد جاء عند الضيق الفرّج

ما قيل في المهن والحرف :

في إسكاف :

ربّ إسكاف مليح حسنه ذاب قلبي منه صدّاً وجفا
كلّما أشكو إليه سقمي قال ما عندي سوى هذا الشفا

في بخانق :

تسلطن في الملاح بخانق ولم يرض يبدّر التّم نايب
وصفّ له من الأتراك جنداً وأصبح موكباً تحت المصاب

في حباك :

يا مليحاً مهذب مقلته صاد قلبي منه بالشرك
مذ رأيت الحبك صنمته قلت هذا البدر في الحبك

عز الدين الموصلی، في حجام :

وحلج في الكاس أجرى دماً من ساق ساقينا بإشفاق
لكنّه خالف في شرطه فحكم الكاس على الساق

في حریری :

حریری يبيع الحسن لكن شبيه الفصن والبدر النير
كسى جسمی السقام ولا عجيب لثوب السقم من هذا الحریری

وما أحسن من قال ما ينسج على نكّة .. وأجاد :

أنا قفل من حریری ... فوق خصر مستدير
أنا لا أنفجُ إلّا ... عند أوقات السرور

وقال في حداد، وأجاد :

تمشّقت حداداً بديع ملاحه له طاعة في الحسن تعلو وتشمخ
إذا رمت بالطريق وصلّاً بقربه أراه ستر الفيظ ثم ينفخ

في حلاوى :

ريق الحلاوى أحلى من حلاوته في خصره دنف والرّدف منقوش
والدمع سكب وأحشائي تقوضه والحد منى بماء الدمع مرشوش
لابن الوردى فيه أيضاً :

الحلاوى قال لى أنا للحسن معدن
سهم عيني مسبر وعدوى مكفن

وللصفدى فيه أيضاً :

إن هذا الصبي الحلاوى أضحى يتجنى على الكئيب ويحقد
لا تعارضه في هواه بشكوى دعه في دسسته يحل ويعقد

في حوايجي :

حوايجي أتيت أسأله قلت له يا أخا الرضا صف لى
فى عنق دمل به ورم قال يداوى بمرهم النخل
لابن الوردى، فى خياط :

لما أتى والمقص فى يده . . . وفصل العاتقين والبدنا
فقال وصلاً يعوز قلت له العايز الوصل يا مليح أنا
وأيضاً فيه :

مررت بخياط حكي البدر طلعة وشا كل غصن البان لما انثنى قدّا
يقدّ ويفرى الثوب ثم يخيطة فلم ثوب قلبي لا يحاط وقد قدّا
وللازميرى فيه أيضاً :

لله خياط إذا سأله وصلاً أراه جا بالمطلوب
وإن شكوت غمّي لردفه فرجها بالوصل والركوب

فى ذهبى :

عشقتة ذهبى اللون طلعتة أبهى من البدر بل أبهى من الشهب
إن مات طبعاً إليه ليس ذا عجب فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

وفيه أيضاً :

إلى الذهبي صبا قلبي وكم يدعو للعطاب
ألم ترني على شفق أحب الرضع في الذهب

وفي راشد :

أقول لراشدي لما تبدى عساه يكون لي بالوصل ناجد
بحسن جمالك الحسن الفدى إلى العشاق قد وافاك راشد

وفي رسام :

هويت رساماً كبدر الدجى ونفره كالدرّ إذا تبسم
قلت له صلني ولو ساعة قال بكم ؟ قلت : بما ترسم

وفي رفا :

يا رافيا قطع كلّ ثوب يا بنية النفس يا مرادى
عسى بخيط الوصال ترقى ما فرق المجر من فؤادى

والصفدي فيه أيضاً :

ورفاً له وجهٌ مليحٌ محاسنه البديعة ليس تخفى
شملت به الفؤاد ولا زمانا أرى ثوب الفؤاد يعد زرفاً

في بياع ريحان :

يا صاح ريحاننا قد زارني وبكاس فيه لماً سقاني
لما نظرت إلى شقايق خده سبب الفؤاد عذاره الريحان

والصفدي في سكرى :

سبتني صفات السكرى الذي له بضاعته حتى عدت قرارى
مكرر لفظ في سديّات مبسم وأحمر خدّ في نبات عذارى

ولابن العربي . . في مليح يسبي الفؤاد :

وظبي يطرق بمرآته فيسبي فؤادى من لطفه
وهيهات أن أرتجى من هواه خلاصاً ودفنى في كفه

ولبدر الدماميني، في سبّاك :

سبّاك تبر وفضة صنعته
قلت له سبني أنا وأخي
وقال آخر، وأجاد، في سروجي :

فتنت به سروجياً بديعاً
إذا جذب الغرام له عناني
في سقا :

لله سقا له طلعة
أروم أن يسكب لي قربة
ولأزميري فيه أيضاً :

عشت سقا كالزال رضابه
يروي المبرد عن لاه كاملاً
ولشيخ الشيوخ بحجة، في شرابي :

سألته من ريقه شربة
فقال أخشى يا شديد الظما
ولابن الصايغ، في شماع :

نظرت إليه شماعاً مليحاً
له خدّ جر لا طيب
مواليا في صابوني :

حبّيت أهيف رقيق الخصر صابوني
والله لو فتشوا قلبي لصابوني
ولبدر الدين الدماميني، في صايغ :

وصايغ شادن هام الفؤاد به
يا ليتني كنت منفاخاً على فمه
وحبه في صميم القلب قد رسخا
حتى أقبل فاه كلما تقخا

وله أيضاً في طيب :

طيب يحاكي الفصن في حركاته
عجباً له يرى السقام بلطفه
أصيرٌ روحى في هواه سبيلاً
وبطرفه يدعى السقام عليلاً
وله في طحان :

لله طحان تبدى وجهه
وجناته ماء ولكن قلبه
قرأ له قر السماء رقيق
حجر وأما خصره فدقيق
وله أيضاً في عطار :

قلت لمطار به صبوتى
أسقيتنى كأس غرامى وبه
محمودة والصبر لا يستطاب
ذبت ومن فيك برانى الشراب
وفي مליح جالس عند عطار :

وعطار مررت عليه يوماً
فقلت له أعندك ماء ورد ؟
وجدت بجنبه ظبياً رمانى
فقال : نعم ، وعندى ما لسانى
ولابن الفرس ، وأجاد ، في عوام :

يا حسن عوام كفنصن النقا
ويقنع العشاق منه بأن
يخل بالوصل لمن هاما
يريهم الأرداف إن عاما
وقال آخر ، وأجاد ، في فاخران :

سباني فاخران بديع حسن
فهمت من الغرام له بحب
رمى في القلب بالبحران جره
وقصدى منه أن أحظى بجره
وفي قباني :

أشرت إلى الحبيب وقد تبدى
فدل بحسنه تيهاً ونادى
بقبانٍ ودمع العين سائل
إشارات الحب لها دلائل
وللسيد محمد رضوان الرعاد - في قصاص :

أشكو إلى الله قصاصاً يجرعنى
إن تحسن القص ينماه فقلت
بالصد والهجر أنواعاً من القصص
أيضاً قص علينا أحسن القصص

في بايع الكتان :

ربح محبة لم يزل قلبه
من طاب التسريح من حبه
ولا بن الوردى - في كفتى :

لا أرى من محبة لى مخرجاً
مذ تبدى فى حديد فحكى
ولا بن العفيف - فى كوانى :

قد أظهرنا لوعتى ولبي
قالوا على فقلت قدر
وقال آخر ، فى ملىح مكحول :

يا أيها الرشأ المكحول ناظره
إن انهماسك فى التيار حقق أن
ولا بن الوردى ، فى مزين :

بأبى شادف تملك روحى
مسك الكلبتين قلت عجيب
ولأبى الفضل بن أبى الوفا ، فى مجبر :

أحييت من بين الأنام مجبراً
ناديته قلبى كسير بالجوى
ولا بن الوردى ، فى مهميزى :

صاح هذا المهميزى عارضه
وجاد بالوصل لى يوماً رفست على
ولآخر - لبائع الفخار :

بائع الفخار بدر
ما الذى تبغيه منى
قال للعاشق جهره
قال قصدى ألف جره

وفي ملالي :

ملالي العراق نوى حجازا به المشاق وجداً قد أمالا
إذا سألوا وداعاً لم يجبههم بلا إيه ولا نعم ولا لا
وقال ابن عربي ، في ناتف :

وقالوا دع المحبوب وأهجره دائماً ألم تره بعد الملاحه ينتف
أينتف من أجل ويحب نفسه وأهجره تالله ما أنت منصف
ولابن الوردي ، في نطاع :

هويت نطاعاً إذا جيته بادرني باللحظ والصنع
أروم أن أحظى بوصله وقد قابلي بالسيف والنطع
وللسراج الوراق ، في ورق :

يا حسن ورق أرى خده قد راق في التقبيل عندي ورق
تميس في الدكان أعطافه ما أحسن الأغصان بين الورق
وقال ابن حبيب فيه أيضاً :

فتنت بحسن ورق تقور بقاب الصب نار البحر أصلاً
صقيل الوجه كم ذرح لديه وبفضب إن طلبنا منه وصلاً
وللسيد محمد رضوان الرعاد ، في وقاد :

أحببت وقاداً كبدر طالع أنزلته برضى الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا تعاند عاذل إن ملت نحو الكوكب الوقاد
وللصفدى ، في قطان :

قطاننا	مهف	تعتله	أردافه
ناديت من وجدى به	ياليتنى	ندافه	

وله في بيع مرسين :

يا صاح مرسيننا لو زارنى يوماً لكان بوصله يشفينى
لما نظرت إلى رياض خدوده سلب الفؤاد عذاره المرسينى

وله ، في بيع نرجس :

بالروح أفدى فوجيا خده
لما دنا ونظرت روض جماله
ورد وآس عذاره كالسندس
نزّهت طرفي في عيون النرجس

وله ، في بيع بنفسج :

سما بنفسجنا
لما بدا في خده
بحسنه قلبي الشجي
عذاره البنفسجي

وله ، في بيع تفاح :

لله من بيع تفاح إذا
لما نظرت لحسن نرجس كفه
غلبني بحسن جبينه الوضاح
هام الفؤاد بخده التفاح

وله ، في بيع سفرجل :

لله من سفرجلي شاقني
حيّا بكاس الراس مع القرنفل
بفتح طرف بابليّ الحلـ
ما أحسن الراح مع السفرجل

وله ، في بيع الورد :

لله وردٌ نبا البديع سنا
لما تأملت روض وجنته
وما جرى في الثمر من شهد
تيم قلبي بخده الورد

عداوة النساء

طاعتهن تردى العقلاء وتذل الأعزاء :

ذمّ بعض الحكماء من القدماء - جماعة النساء ، فقال :

هنّ نار توهج ، وسلّم إلى كلّ بلاء ، وهنّ مثل شجرة الدفلى ، لها رونقٌ وبها ثمر
إذا أكله البعير آذاه وقد يودى به .

ومن أمثالهم : طاعة النساء تردى العقلاء ، وتذلّ الأعزاء . . .

ونظر بعض الصالحين إلى امرأة تزين وتتمطرّ ، فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها
وزاد جمالها ، فقال لمن حوله : إنّما المرأة مثل النار إذا زيد في حطبها تأججت واشتدّ حرّها ،
وضاءت للناس ، فهي حسنة المنظر ، تحرق من دنا منها .

وقال بعض الحكماء : الكيس من لم تضطره النساء . وقال أيضاً : من كانت لذّته في النساء ،
وقع في أعظم البلاء . .

وقال : من أراد أن يعيش عيشة رغد ، ويحيا حياة بلا نكد ، فلا يشغل فكره بشهوة
النساء ، ولا يوى إليهن بطرفه ولا ييده .

وقال حكيم : كلّ أسير يفتكّ إلّا أسير النساء فإنه غير مفكوك ، وكلّ مالك يملك
إلّا مالك النساء فإنه مملوك ، وما استرعين شيئاً قط إلّا وضاع ، ولا استؤمنّ على سرٍّ إلّا
ذاع ، ولا أطقن سرّاً فقصرن عنه ، ولا حوين خيراً فأبقين منه ، فقل له :

كيف تدمّهنّ ، ولولا هنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء ؟ !

فقال : مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء ، لا يلامسها جسدٌ إلّا اشتكى ، وحملها
مع ذلك الرطب الطيب الجنى . والسلاء : جمع سلاة وهي شوك النخل . .

وروى فيهن : أنهن محملات الآصار، ومكلفات الأوزار، وأكثر أهل النار، ولا يصبر عليهن إلا الأخيار ، وأنهن يسرعن اللعن ، ويكثرن الطعن . وفي الحديث : أنهن يكفرن العشير ، وينكرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط !

وقال لقمان : استعذ بالله من شرار النساء ، وكن من خيارهن على حذر .
وقيل لبقرات : أى السباع أحسن صورة ؟ فقال : النساء .

ورأى امرأة ذهبت إحدى عينيها ، فقال : قد ذهب نصف الشر .
ورأى البحر قد حمل امرأة - فقال : شرٌّ يجنى شرّاً . . ورأى رأس امرأة على شجرة فقال : ليت كل الشجر يشمر مثل هذا الثمر .

ونظرت عجوز من الفلاسفة إلى رجل يريد أن يعرس ، وقد زين داره وزوّقها وكتب على الباب : « لا يدخل على من هذا الباب شيء من الشر » .
فقال له : « فامراتك من أين تدخل ؟ » .

وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال لهن : اسكنن ، فإنما أنتن لعب ، إذا فرغ لكنن ، لعب بكنن .

وقيل إن الإسكندر خرج إليه في بعض حروبه نساء يحاربنه ، فقال لأصحابه : كفّوا عنهن ، فإنّ ذلك جيش إن غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا نحر ، وإن غلبنا فهى الفضيحة الباقية مع الدهر .

ورأيت في بعض الكتب أن بعض النسوة لا يسكن مع الرجال ، وأن أزواجهنّ يسكن ناحية منهن ، فتى احتاج الرجل إلى امرأته أتاها فقصى مدة عندها وانصرف فإذا ولدت ولداً ربّته حتّى يكبر وأرسلته إلى أبيه . وإن كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى يبس لئلا يمنحها الطمن بالرمح ، وتركت الآخر الأيسر - لترضع به ولدها ، ومع هذا فلا تؤمن صحتهنّ ، ولكن لا بدّ من الأدب في ذلك .

قال عمر رضى الله عنه : عودُوا نساءكم - لا ، فإن - نعم - تجريهنّ على الألسنة .
 وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شاوروهنّ وخالفوهنّ »
 وقال على - رضى الله عنه - لابنه محمد بن الحنفية : إياك يابنّى ومشاورة النساء ، فإن
 رأيهنّ إلى الأفنّ ، وعزمهنّ إلى الوهن . واكف عليهنّ من أنصارهنّ بحجّيك إياهنّ ،
 وإن استطعت ألاّ يعرفنّ غيرك فافعل ، ولا تطلّ الجلوس معهنّ فيهلكنك وتعلمنّ ، واستبق
 من نفسك بقية .

وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام : « كمل من الرجال كثير ، ولم تكل من النساء
 إلّا امرأتان : آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم ابنة عمران .
 وخاطب النبيّ عليه صلوات الله وسلامه - نسوة فقال لهنّ : « إنكنّ إذا جعتنّ دعتنّ ،
 وإذا شبعنّ أثّرتنّ » . وفي بعض الروايات ورد - بدلاً من لفظ (أثّرتنّ : حجّلتنّ) .
 ومعنى (دعتنّ : خضعتنّ ولصقنّ بالدقاء ، وهى غيرة التراب ، ويقال - فقرت مدقع ،
 أى ملصق بالدقاء . وقالوا : رماه الله بالدوقعة ، وهى الفقر والذلّ ، وجوع ديقوع - أى :
 شديد .

وقال النبيّ عليه أفضل الصلاة والسلام - فى النساء : « ما تركتُ بعدى فتنةً أضرتُ على
 الرجال من النساء » . وفى الشهاب : النساء حبايل الشيطان . وقال سعيد بن المسيّب رحمه الله :
 ما أيس الشيطان من شيء إلّا أتاه من قبل النساء . وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة ،
 وقد ذهبَ بصره : ما شيء أخوف عندى من النساء . وقال بعضهم فى هذا المعنى :

أضّرّ شيء على الإنسان شهوته	تلك التى أوردته لجة النكد
إن الفضول لعمرُ الله أدخله	فى أن يكابد همّ الأهل والولد
يحتاج داراً وأهل الدار يطلبه	كلّ شهوته ، فليعط ، أو .. يمد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم	فطلّ من بلد يسرى إلى بلد
كأنه حَجَرٌ يرمى به نَزَقٌ	من هاهنا لهنا ، أو من يدٍ ليد
ما همّه الدهر إلّا ما يؤلّفه	وما يجمّعه من جيّد وردي

وما يبالي حراماً منه ذاك أنى
حتى إذا اجتمعت تلك الكاسب من
أَمسى يُفَرِّقُهَا فيهم وَنَيْقُهُ
وَرُبَّمَا أَسْخَطَ الْمَسْكِينُ خَالِقَهُ
الْعَرَضُ ضَيْعَهُ ، وَالذِّينُ أَتْلَفَهُ
وَكُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْفَسَاءِ ، فَلَا
يَسْلُبَنَّ لُبَّ ذَوِي الْعَقْلِ الرَّصِينِ ، كَمَا
يَارُبُّ مَهْوَةٍ وَقَدْ أَوْرَثَ غُصَصًا
قَدْ كَانَ فِي شُئْلٍ عَنْهُمْ قَاطِبَةً
لَكِنَّهُ عَمِيَتْ عَنْ ذَاكَ مُقْلَتُهُ

ومن شعر أبي العمران الميرتلي رحمه الله :

وَقَالُوا : تَرْوِجُ فَنَنْفِخَ الْفَتَاةُ
وَلَوْ أَسْتَطِيعُ لَطَلَّقْتُ نَفْسِي
أَشْقَى بِهَا دُونَ مَا ضَرَّةٍ
وَمَا تَقْنَعُ الْعَرَسُ مَنَى بَشَىءٍ
فَنَفْسِي أَوْلَى بِنَفْسِي ، وَدَعِ

عَرَضْنَا عَلَيْكَ تَنْلَ خَيْرَهَا
فَكَيْفَ أَضِيفُ لَهَا غَيْرَهَا
وَأَمِنْ مِنْ ضَرَّةٍ ضَرَّهَا
سِوَى أَنْ تَصِيرَ بِي غَيْرَهَا
سِوَاهَا تَسِرُ وَتَصِلُ سَيْرَهَا

بنات الأربعين من الرزايا :

أنشدني أبو عبد الله اليزيدي ، قال : أنشدني عمي لمحمد بن عبد الله بن طاهر :

مَطَيَّاتِ السَّرُورِ بَنَاتُ عَشْرِ
فَإِنْ جَاوَزْتِهِنَّ فَسِرْ قَلِيلًا
مَقَاسَةُ النِّسَاءِ مَعَ اللَّيَالِي
إِذَا أَوْلَدْتِهِنَّ مِنَ الْبَلَايَا

إِلَى عَشْرِينَ ، ثُمَّ قَفِ الْمَطَايَا
بَنَاتُ الْأَرْبَعِينَ مِنَ الرِّزَايَا
إِذَا أَوْلَدْتِهِنَّ مِنَ الْبَلَايَا

طرائف عن الحب

حيلة عاشق :

كان لأبي العتاهية الشاعر العباسي نوادر لطيفة مع « عُتْبَة » جارية المهدي ، تدُلُّ على كمالِ ظرفه ؛ ومن ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد قال :

إنَّ أبا العتاهية لما ألحَّ في أمر « عتْبة » - لأول دخوله بغداد ، ولم ينل منها شيئاً ، وجدها يوماً قد جلست في أصحاب الجوهر ، فضى فلبس ثياب راهب ، ودفع ثيابه إلى إنسان كان معه ، وسأل عن رجل كبير في السوق ، فدُلَّ على شيخ صائغ ، فجاء إليه فقال : إني قد رغبت في الإسلام على يدي هذه المرأة . . . يعني « عتْبة » .

فقام الشيخ الصائغ وجمع جماعة من أهل السوق ، وجاء إلى « عتْبة » فقال لها : إنَّ الله قد ساق إليك أجراً ، هذا هو راهب قد رغبت في الإسلام على يدك . فقالت : هاتوه . فدنا أبو العتاهية منها - وهو في زيِّ الراهب - فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . ثمَّ قطع الزنار ، ومال على يديها فقبَّلها .

فلما فعل ذلك ، رفعت البرُّنس عن وجهه ، فمرَّفتهُ وقالت : نَحْوُه ، لعنه الله ! فقالوا لها : لا تلغنيه فقد أسلم . فقالت : إنما فعلت ذلك لِقَدَرِه . فعرضوا عليه كسوة ، فقال : ليس لي حاجة إلى هذه ، وإنما أردتُ أن أشرِّفَ بولائها ، فالحمد لله الذي منَّ عليَّ بمحضوركم .

وجلس أبو العتاهية ، فجعلوا يعلمونه (الحمد) وصلى معهم العصر ، وهو في ذاك ينظر إليها ، لا تقدر له على حيلة !

وحدث المبرِّدُ : أن « رَيْطَةَ » بنت أبي العباس السفاح ، وجَّهت إلى عبد الله بن مالك الخزازي في شراء رقيق للمعتق ، وأمرت جاريَّتها (عُتْبَةَ) - وكانت لها ثم صحت «الخيزران» بعدها - أن تحضر ذلك . فأتيها الجلوسة إذ جاء « أبو العتاهية » في زيِّ متنسِّك فقال لها :

جعلني الله فداك ، شيخ ضعيف لا يقوى عَلَى الخدمة . فإن رأيت - أعزك الله - شرأى وعتي ، فعلت مأجورة . فأقبلت على عبد الله فقالت : إني لأرى هيئة جميلة ، وضِعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلاً بليناً ، فاشتره وأعتقه . فقال : نعم أفعل . ثم قال لها أبو العتاهية : أتأذنين لي - أصلحك الله - في تقبيل يدك ؟ فأذنت له ، فقبل يدها وانصرف . فضحك عبد الله بن مالك وقال لها : أتدريين من هذا ؟ فقالت : لا . قال : هذا أبو العتاهية ، وإنما احتال عليك حتى قبل يدك !

بين الحب والمال :

وكان أبو العتاهية قد قصد بغداد من الكوفة ، مع زميلين له ، ليستفيد بشعره عند أمرائها ، ولم يكن لهم في بغداد من يقصدونه ، فنزلوا غرفةً بالقرب من الجسر ، وكانوا يبكرون فيجلسون بالمسجد الذي يباب الجسر ، في كل غداة . فرّت بهم يوماً امرأة راكبة ، معها خدم سودان . فقالوا : من هذه ؟ قالوا : خالصة . فقال أحدهم : قد عشقت خالصة . وعمل فيها شعراً أعانوه عليه . ثم مرّت بهم أخرى ، راكبة أيضاً ، ومعهما خدم بيضان . فقالوا من هذه ؟ قالوا : هذه (عتبة) فقال أبو العتاهية : قد عشقت عتبة . وعمل فيها شعراً .

ولم يزالوا كذلك ، حتى شاع الشعر المصنوع إلى الجاريتين ، وتحدث الناس بعشق أبي العتاهية وزميله لها . فقال صاحبا الجاريتين : نمتحن العاشقين بمال على أن يدعا التعرض للجاريتين . فإن قبلنا المال كانا مستأكبين ، وإن لم يقبلنا كانا عاشقين .

فلما كان الند ، مرّت (عتبة) فعرض لها صاحبها ، فقال له الخدم : اتبعنا ، فتبعهم ، فمضت به إلى منزل خليط لها يزار . فلما جاست دعت به فقالت له : يا هذا ، إنك شاب ، وأرى لك أدباً ، وأنا حرمة خليفة . وقد تأثنتك ، فإن أنت كففت وإلا أنهيت ذلك إلى أمير المؤمنين ، ثم لم آمن عليك .

فقال لها أبو العتاهية : فاعلى ، بأبى أنت وأمى ، فإنك إن سفكت دمي أرحمتي . فأسألك بالله إلا فعلت ذلك إذا لم يكن لى فيك نصيب . !

فقات له : أبقي على نفسك ، وخذ هذه الخمسة دینار ، واخرج عن هذا البلد . فلما سمع ذكر المال ولّى هارباً ، فقالت : ردّوه ، وألحّت عليه فيها . فقال لها : جِملتُ فداك ، ما أصنع بعرض زائلٍ من الدنيا وأنا لا أراك ؟ . . والله إنك لتبطين يوماً واحداً عن الركوب ، فتضيق على الدنيا بما رَحبتُ . فزادت له في الدنانير ، وما زالت تالحّ عليه فلا يزداد إلا رفضاً .

قليل منك يكفيني :

ومن ألطف ما قاله أبو العتاهية في (عتبة) قوله :

ياخلوة المئين زوريني	قبل المات ، وإلا . . فاستزيريني !
هذان أمران ، فاخترى أحبهما	إليك ، أو .. لا . فداعى الموت يدعوني
إن شئت موتاً ، فأنت الدهر مالكة	روحي ، وإن شئت أن أحيأ ، فأخيني
يا (عتب) ما أنت إلا بدعة خلقت	من غير طين ، وخلق الناس من طين
إني لأعجب من حبّ يقرّبني	مما يباعدني عنه ، ويقصيني
لو كان ينصفني مما كلفت به	إذن .. رضيت ، وكان النصف يرضيني
يا أهل ودّي . . إني قد لطفت بكم	في الحبّ - جهدي - ولكن .. لا تبالوني
الحمد لله ، قد كنّا نظنّكمو	من أرحم الناس - طراً - بالمساكين
أما الكثير ، فلا أرجوه منك ، ولو	أطمعتني في قليلٍ كان يكفيني

وله فيها قصائد كثيرة أخرى ، يقول في إحداها :

ألا يا (عتب) يا قمر الرّصافه	ويا ذات الملاحه والنظافه
رزقت مودتي ، ورزقت عطفی	ولم أرزق - فديتك - منك رافه
وصرت من الهوى دنفاً سقياً	صريعاً كالصرع من السلافه
أظلل إذا رأيتك مستكيناً	كأنك قد بعثت على آفه

ومن قوله فيها أيضاً :

قال لي أحمدٌ ، ولم يدِرْ ما بي
فتنفستُ ، ثم قلتُ : نعم ، حبًّا
لو تَجَسَّيَنَ يا (عُتْبَةُ) قلبي
قد لعمري ملَّ الطَّيِّبُ وملَّ الـ
ليتني متَّ فاسترحتُ ، فإني
أُحِبُّ النداءَ (عُتْبَةُ) حقًّا ؟
جرى في العروق ، عرقاً فـ
لوجدتِ الفؤاد قرحاً . تفقأ
أهلُ منى ، ممَّا أقاسى وألقى
أبدًا - ما حيت - منه ملقى

وفيه يقول :

(عُتْبَةُ) ما للخيال
لا أراه . . . أنا
لو . . . رآني صديق
أو . . . رآني عدو
خبريني ومالي ؟
زائراً . . . منذ ليالٍ
رق لي ، أو رثي لي
لان من سوء حالي

من الحب إلى الزهد :

وحدث أبو العباس : أحمد بن يحيى ثعلب ، قال :

كان أبو العتاهية قد أكثر مسألة الرشيد في (عُتْبَةُ) - فوعده بتزويجها ، وأنه سيسألها
في ذلك فإن أجابت جهَّزها له وأعطاه مالا عظيماً . ثم إنَّ الرشيد سَنَحَ له شغل استمرَّ به ،
فحبَّب أبو العتاهية عن الوصول إليه . فدفع إلى (مسرور) الكبير ثلاث مراوح ، فدخل بها
على الرشيد وهو يتبسم ، وكانت مجتمعة ، فقرأ على واحدة منها مكتوباً :

ولقد تنسَّمْتُ الرِّيحَ لحاجتي فإذا لها من راحتِكَ شميمٌ
فقال الرشيد : أحسن الحديث . إذن . . . على بالثانية . وكان مكتوباً عليها :

أعلقتُ نفسيَ من رجائك ماله عَنَقُ يَحْثُ إليك بي ، ورسيمٌ

فقال الرشيد : على بالثالثة ، وكان مكتوباً عليها :

ولربما استيأستُ ، ثم أقول : لا إنَّ الذي ضمن النجاح كريم

فقال الرشيد : قاتله الله ، ما أحسن ما قال ، ثم دعا به ، وقال له : قد ضمنت لك يا أبا العتاهية ، وفي غدير نقضي حاجتك إن شاء الله ، وبعت إلى (عُمَيْبَةَ) وقال لها : إن لي إليك حاجة ، فانتظريني الليلة في منزلك .

فأكبرت (عُمَيْبَةُ) ذلك وأعظمته ، وصارت إليه تستمفيه ، فحلف ألا يذكر لها حاجته إلا في منزلها .

فلما كان الليل سار إليها ومعه جماعة من خواص خدمه ، فقال لها : لست أذكر حاجتي أو تضمين قضاءها ؟ قالت : أنا أمتك ، وأمرك نافذ في .. فيما خلا أمر أبي العتاهية ، فإني حلفت لأبيك رضي الله عنه - بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر . وبالشئ إلى بيت الله الحرام حافية ، كلما انقضت عني حجةٌ وجبت على أخرى ، لا أقصر على الكفارة ، وكلما أفدت شيئاً تصدقت به ، إلا ما أصلي فيه .

وبكت بين يديه ، فرق لها ورحمها ، وانصرف عنها .

وغدا عليه أبو العتاهية ، فقال له الرشيد : والله ما قصرت في أمرك ، ومسروور وحسين ورشيد وغيرهم شهود لي بذلك . وشرح له الخبر .

قال أبو العتاهية : فلما أخبرني الرشيد بذلك ، مكثت ملياً لا أدري أين أنا قائم أو قاعد ؟ قلت : الآن يئس منها إذ ردّتك ، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك .

ثم لبس أبو العتاهية الصوف ، وتزهد ، وقال في ذلك شعراً كثيراً ، منه قوله :
 قطعت منك حبال الآمال وحططت عن ظهر المطى رحالي
 ووجدت برد اليأس بين جوانحي فننيت عن حل وعن ترحال

وروى أبو سلمة النَّسَوِيُّ أنه قال لأبي العتاهية : ما الذي صرفك عن قول النزل إلى قول الزهد ؟ فقال أبو العتاهية : إذن والله أخبرك ، إني لما قلت :

الله بيني وبين مولاتي أبدت لي الصد والمالات
 منحها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها .. مكافاتي
 هيمنني حبها ، وصيرني أهدوءة في جميع جاراتي

رأيت في المنام تلك الليلة ، كَأَنَّ آتِيَا أَتَانِي فَقَالَ : مَا أَصَبْتَ أَحَدًا تَدْخُلُهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عُتْبَةَ ،
يُحْكَمُ لَكَ عَلَيْهَا بِالْمَعْصِيَةِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ؟! .. فَاَنْتَبَهْتَ مَذْعُورًا ، وَتَبْتَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سَاعَتِي
مِنْ قَوْلِ الْغَزَلِ .

مَعِيَ بَيْنَ أَضْلُعِي :

الْحُبَّةُ هِيَ بِذَلِكَ الْمَجْهُودُ فِيمَا يَرْضَى الْحَبِيبُ^(١) . وَقِيلَ : هِيَ سَكُونٌ بِلَا اضْطِرَابٍ ،
وَاضْطِرَابٌ بِلَا سَكُونٍ . يَضْطَرِبُ الْقَلْبُ فَلَا يَسْكُنُ إِلَّا إِلَى مَحْبُوبِهِ . وَلَا يَزَالُ يَضْطَرِبُ
شَوْقًا إِلَيْهِ حَتَّى يَسْكُنَ عِنْدَهُ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِمْ : هِيَ حَرَكَةُ الْقَلْبِ عَلَى الدَّوَامِ إِلَى الْمَحْبُوبِ ،
وَسَكُونُهُ عِنْدَهُ . وَقِيلَ : هِيَ مَصَاحِبَةُ الْمَحْبُوبِ عَلَى الدَّوَامِ . كَمَا قِيلَ :

وَمِنْ عَجَبِ أُنَى أَحْنُ إِلَيْهِمْ وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ لَقِيتُ وَهُمْ مَعِيَ
وَتَطْلُبُهُمْ عَيْنِي وَهُمْ فِي سَوَادِهَا وَيَشْتَاقُهُمْ قَلْبِي وَهُمْ بَيْنَ أَضْلُعِي

يَرَى الْفُؤَادُ الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ :

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

أَعَانِقُهَا وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهَا . وَهَلْ بَعْدَ الْعِنَاقِ تَدَانٍ ؟
وَالْثَمُّ فَاهَا كِي تَزُولَ صَبَابَتِي فَيَشْتَدُّ مَا عِنْدِي مِنَ الْخَلْفَانِ
وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفَ الشَّفَقَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحِينَ يَمْتَزِجَانِ

(١) فِي رَوْضَةِ الْمُحِبِّينَ وَنَزْهَةِ الْمُشْتَاقِينَ ص ٢٩ .

لئن ساءني لقد سرني :

وقال عبد الله بن الدمينه :

ولو قلت : طأ في النار، أعلم أنه
لقد دمتُ رجلى نحوها ... فوطئتهما
لئن ساءني أن نلتني بمساءة
رضاك أو مُدني لنا من وصالك
هدى منك لي، أو.. ضلة من ضلالك
لقد سررتني أنني خطرتُ ببالك

العشق عفة ونزاهة :

قال الشاعر :

إذا كان حظُّ المرء ممن يحبّه
حديثٌ كماء الزن بين فصوله
ولم فم عذب اللثات، كأنما
وما العشق إلا عفة ونزاهة
وإني لأستحي الحبيب من التي
حراماً، فحظي ما يحل ويحرم
عتاب به حسن الحديث يفصل
جناهن شهد فت فيه القرنفل
وأنس قلوب أنهن التغزل
تريب، وأدعى للجميل فأجل

الطرف رسول رائد للقلب :

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهابة ، فجعلت أنظر إليها وأملاً عيني
من محاسنها ، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :

وكنتم متى أرسلت طرفك رائداً
لقلبك يوماً ، أنعمتكَ المناظرُ
رأيت الذي لا كله أنت قادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الفرزدق :

تَزَوَّدَ مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدْعُ لَهُ
فَلَمْ أَرَ مَقْتُولًا ، وَلَمْ أَرَ قَاتِلًا
فَوَادًا وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدَا
بَغِيرِ سِلَاحٍ مِثْلِهَا حِينَ أَقْصَدَا

وقال آخر :

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَى مِنْ عَدُوِّ وَحَاسِدٍ
هَآءِ اعْتَوَرَانِي : نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً
فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أُتِيتُ وَمِنْ قَلْبِي
فَمَا أُبْقِيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلَا لَبٍّ

وقال ابن المعتز :

مَتِّمٌ يَرَعَى نَجْمَ الدُّجَى
عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَى فِي الْهَوَى
يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَازِلُهُ
فَابْكُوا قَتِيلًا بِمَضِهِ قَاتِلُهُ

وقال الأَرَجَانِي :

تَمَتَّعْتُمَا يَا مُقَلَّتِي بِنَظْرَةٍ
أَعْيَنِي كُفًّا عَنْ فَوَادِي فَإِنَّهُ
وَأُورِدْتُمَا قَلْبِي أَمْرًا الْوَارِدِ
مِنْ الظُّلَمِ سَعَى اثْنَيْنِ فِي قَتْلِ وَاحِدِ

وقال آخر :

عَانَبْتُ قَلْبِي لَمَّا
فَازِمَ الْقَلْبُ طَرَفِي
رَأَيْتُ جِسْمِي نَحِيلًا
وَقَالَ : كُنْتَ الرَّسُولَا
فَقَالَ طَرَفِي لِقَلْبِي
فَقُلْتُ : كُفَّا جَمِيعًا
تَرَكْتُمَانِي قَتِيلًا !

لَذَّةُ الْحَبِّ كُلِّهَا :

قال الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية :

« ليس للقلب والروح اللذ ولا أطيب ، ولا أحلى ولا أنعم ، من محبة الله ، والإقبال عليه ، وعبادته وحده ، وقرّة العين به ، والأنس بقربه ، والشوق إلى لقائه ورؤيته . وإنّ مثقال ذرّة من هذه اللذّة لا يُمدّل بأمثال الجبال من لذات الدنيا » .

وقال بعض العارفين : « مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ . ومن لم تقرّ عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات ، ويكفى في فضل هذه اللذّة وشرفها أنّها تخرج من القلب ألّم الحسرة على ما يفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألّم بأعظم ما يلتذّ بها أهلها ويفرّ منه فرارهم من المؤلم . وهذا موضع - الحاكم فيه الذّوق لا مجرد لسان العلم » .

وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا ، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا طيب نعيمها . فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشّوق إلى لقائه ، ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر : والله إنه ليرث بالقلب أوقات أقول فيها : إن كان أهل الجنّة في مثل هذه الحال ، إنهم لفي عيشٍ طيبٍ . وأنت ترى محبة من محبته عذاب القلب والروح كيف توجب لصاحبها لذّة يتمنى معها أنّه لا يفارق من أحبه . كما قال شاعر الحماسة :

تشكى المحبّون الصّباةَ كَيْتَنِي تحمّلتُ ما يلقون من بينهم وَحْدِي
فكانت لقلبي لذّة الحبّ كلّها فلم يلقها قبلي محبٌّ ولا بعدى !

أَحْسَنْتَ زَيْدِي :

قال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جاريةً من جواريه ، فأرادها ، فقالت :
 إِنَّ أَبَاكَ مَسْنَى . فشغف بها ، وقال فيها :

أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيلَ إلى الورودِ
 أما يكفيكَ أَنَّكَ تملكيني وأنَّ الناسَ كلهمُ عبدي
 وَأَنَّكَ لَوْ جَهِدْتَ على تلافي لقلتُ من الرِّضَا : أحسنتَ زيدي

لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءٌ :

وذكر العتبي أن شاباً من ولد عثمان ، وشاباً من ولد الحسين ، خرجا يريدان موضعاً لهما ،
 فنزلا تحت سَرَحَةٍ ، فأخذ أحدهما ورقة فكتب عليها :

خَبْرِينَا - خَصَصْتَ بِالغَيْثِ يَا سَرُّ حُ ، بِصَدْقٍ ، وَالصَّدَقِ فِيهِ شِفَاءُ

وكتب الآخر :

هل يموتُ المحبُّ من أَلَمِ الحُبِّ بٌ ويشفى من الحبيب اللقاء
 ثم مضياً ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :

إنَّ جهلاً سؤَالَكَ السَّرْحَ عما ليس يوماً عليك فيه خفاء
 ليس للعاشقِ المحبُّ من الحُبِّ بٌ سرى لَذَّةُ اللِّقَاءِ شِفَاءُ

دعاء في الطواف :

وقال أبو المنجاب : رأيتُ في الطواف فتىً ، نحيف الجسم ، بين الضعف ، يلوذ ويتموّد ويقول :

وددت بأنّ الحبّ يجمع كلّهُ فيقذفُ في قلبي ، وينلقُ الصّدْرُ
فلا ينقضى ما في فؤادي من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العمرُ

فقلت : يا فتى ، ما لهذه البنية حُرمةً تمنعك عن هذا الكلام ؟ فقال : بلى والله ، ولكنّ الحبّ ملأ قلبي بفرح التذكّر ، ففاضت الفكرة في سرعة الأوبة إلى من لا يشدّ عن معرفة ما بي . فتمنّيتُ المنى . والله ما يسرّني بما في قلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك . وإني أدعو الله أن يثبتهُ في قلبي عمرى ، ويجعله ضجيجى في قبرى ، دريتُ به أو لم أدّر . هذا دعائى ، أو أنصرف من حجّتى . ثم بكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : خوف ألا يستجاب دعائى ، وله قصدت ، وفيه رغبت !

محبة الأعداء :

من الكلمات الماثورة عن السيّد المسيح عليه السلام قوله : « أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ » .

وقال دِعبِل الخزاعى :

أشبهتُ أعدائى فصرْتُ أحبَّهُم
أجِدُ الملامّة في هوائِكَ لذيدةً
إذ كان حظّى منك حظّى منهم
حبّاً لذكركِ فليكنينى اللّومُ

وقال آخر :

مَنْ كان يشكر للصّديق فإنّنى
هم صيرُوا طَلَبَ المالِ دِينِى
أحبُّو بصالحِ شُكرى الأعداءِ
ولربّما انتفع الفتى بمُدوّهِ
حتى وطئتُ بِنعلِ الجوزاءِ
والسُّمُّ - أحياناً - يكون شفاءً

وقال آخر :

عداى لهم فضلٌ علىَّ ومِنَّةٌ
هو بمحنوا عن زَلَّتْني فاجتنبْتُها
فلا قطع الرحمنُ عني الأعدايا
وهم نافسوني فاكتسبتُ المعالِيا

وقال أحد الشعراء :

سررتُ بهَجْرِكَ لَمَّا علم
ولولا سرورك ما سرَّني
تُ أنَّ لقلبك فيه سروراً
ولا كنتُ يوماً عليه صبوراً

المصادر والمراجع

جميع المصادر والمراجع مأخوذة من كتب مطبوعة ومخطوطة من رصيد الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وهي :

١	العقد الفريد	١٨	التبريزي على الحماسة
٢	خلاصة الأثر	١٩	سحر العيون
٣	أمالى أبي القاسم الزجاجي	٢٠	فوات الوفيات
٤	الإسعاف شرح شواهد الكشف	٢١	اليتيمة للثعالبي
٥	المضاف والمنسوب	٢٢	بغية الوعاة
٦	الحيوان للجاحظ	٢٣	كتاب الترقيص ضمن كتاب
٧	نفح الطيب		اتفاق المباني وافتراق المعاني
٨	وفيات الأعيان لابن خلكان	٢٤	إرشاد الأديب
٩	خزانة الأدب للبغدادى	٢٥	الأغانى
١٠	لوعة الشاكى ودمنة الباكي للصمدى	٢٦	العزیز المحلى
١١	طوق الحمامة فى الألفة والألاف	٢٧	علم الدين لعلی باشا مبارك
١٢	سبعة المرجان	٢٨	الروض الأنف
١٣	شرح شواهد التحفة الوردية	٢٩	الكامل لابن الأثير
١٤	عيون التواريخ	٣٠	بدائع الفوائد
١٥	خاص الخاص للثعالبي	٣١	روضة الأعيان للتراجم
١٦	مخطوط رقم ٦٤٨ شعر تيمور	٣٢	روضة المحبين ونزهة المشتاقين
١٧	أمالى أبى على القالى		

فهرس

كتاب الحب والجمال عند العرب

صفحة		صفحة	
٢٨	أنواع الحب	٣	تمهيد لمقدمة الكتاب
٢٨	ضروب المحبة	٤	دعاء مأثور
٢٨	حب الولد	٥	كلمة اللجنة
٣٠	حب الأياىمى واليتامى	١٣	صفات الحب وأغراضه
٣١	أمثال فى الحب	١٣	الحب ما هو
٣٢	حجة بالنة	١٤	الحب والمحجوب
٣٣	حب الأزواج	١٦	عشق الشرف وعشق الجمال
٣٣	زواج النبى من خديجة	١٧	أحلام المحبين
٣٤	حب خديجة للنبي وتقديره لها	١٧	الحبيب الأول والحبيب الآخر
٣٥	خير متاع الدنيا المرأة الصالحة	١٨	الحب مع اختلاف الدين
٣٦	السيدة سكينة بنت الإمام الحسين	١٩	الحب فى كل حال
٣٨	عاتكة بنت زيد	٢٠	حب النساء والمال
٤١	زواج امرىء القيس	٢٣	الحب خضوع النفس
٤٣	ولاء أم عقبة لابن عمها غسان	٢٤	أشقى الناس أهواها
٤٤	زواج حاتم الطائى	٢٥	رابعة العدوية
٤٦	حب سحيم لعائشة بنت طلحة	٢٥	الحب أحسن المعاصى
٤٧	الثريا وعمر بن أبى ربيعة	٢٦	الهوى قدر
٤٩	أبو الأسود الدؤلى وامراته وابنهما		
٤٩	المجرد والمرأة التى تبعها		

صفحة		صفحة
٧٦	الغزل ووصف النساء	٥١ الشعراء العشاق
٧٦	الغزل والغزل والفرق بينهما	٥١ جميل بثينة
٧٦	يا ليل الصب متى غده	٥٣ كثير عزة
٧٨	استحسان وضاعة الوجه	٥٤ عمر بن أبي ربيعة
٧٩	كواكب لا كواكب	٥٥ من شعر أمية بن الصلت في الغزل
٨٠	كل فتاة بأبيها معجبة	٥٦ حب امرئ القيس
٨١	أصل بلقي من قد غزاني	٥٧ ذو الرمة وميمية
٨٢	تشبيب عمر بن أبي ربيعة	٥٧ توبة وليل الأخيلية
٨٣	صبح المشيب يدل على ليل الشباب	٥٩ عبد الله بن طاهر وجاريتته
٨٣	الشاعر الغزال	٦٠ بحر هوى ليس له شط
٨٤	غزال قد غزا قلبي	٦٠ حب زينب بنت إسحاق النصراني
٨٥	غرام أم جنون	٦١ التأثب من الحب
٨٦	سلموس وسلمسة	٦٢ الحب والجمال
٨٧	عاتكة بنت معاوية	٦٢ حب امتداح النساء
٨٨	وصيفة مهدوية في مجلس ابن صماد	٦٣ أعرابي يصف امرأة
٨٩	وصف جارية المنذر إلى أنوشروان	٦٤ الوصف من المشاهدة
٨٩	فارس عربي جميل	٦٦ أسنان النساء
٩١	غنيه : شحاذه	٦٦ دائرة يلعب فيها البدر
٩٢	العيون	٦٧ المرأة والطيب
٩٢	لأعذب العين	٦٧ تتف الوجه بالخيط
٩٣	معاني لفظ العين	٦٨ تشبيه المرأة ببدر السماء
٩٥	وصف العين وأسماء أجزائها	٦٨ لقاء فتى جميل الوجه في الجنة
١٠٠	آفة النظر وغائلته	٧٠ تكنى المرأة بالشاة أو البيضة
		٧١ في أسماء النساء

الصفحة	الصفحة
١٤٠	١٠٢ تعدد الزوجات والأزواج
١٤١	١٠٢ هند وأبو سفيان
١٤٣	١٠٢ حكمة التعدد في الإسلام
١٤٤	١٠٥ المرأة التي تزوج عليها زوجها
١٤٤	١٠٦ عدم زواج الرجل بمن يهواها
١٤٥	١٠٦ رؤية الرجل المرأة عند تزوجها
١٤٦	١٠٨ رايات من خمر النساء
١٤٧	١٠٩ كشف وجه المرأة في الإحرام
١٤٩	١١٠ المرأة لعبة زوجها
١٤٩	١١٠ مات زوجها فتزوجت
١٥٠	١١٢ وفاء عائشة بنت طلحة لزوجها
١٥٠	المتوفى
١٥٠	١١٣ القبلة وإباحتها
١٥٢	١١٥ محاسن الخلق والخلق
١٥٣	١٢٢ ما قيل في الأسماء
١٥٣	١٣٢ ما قيل في المهن والحرف
١٥٤	
١٥٤	